

قررت وزارة المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

الْقِرَاءَةُ الشَّرِيعَةُ

الجزء الرابع

تَمَامُ

عبد الفتاح صبري بك
المفتش
بوزارة المعارف السومية
على ع. ش. من بك
ناظر
مدرسة دار العلوم

طبعة ثانية

١٩٢٢

مكتبة المطبع

طبعة

مكتبة المطبع

صاحب المطبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد
المرسلين وعلى آله وصحبه وسائر النبيين

وبعد فإن الزمان قد دار وسار وهب الكل يطلب
العلم للصغار والكبار ولما كان أولى المسائل بالاهتمام والعناية
تعليم القراءة والكتابة وشيء مما في الدنيا من آيات الله
أنشأنا هذه الكتب الأربعة أساسها التدرج وسهولة
الأخذ وبنائها على أحسن أساليب التربية وأحدثها وحالة
نشوء المدارك وتطورها ورجاؤنا من المولى سبحانه وتعالى
أن يجعلها سديدة الخطى رشيدة الغاية إنه ولي التوفيق

تُظْهِرُ

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُنْحِی
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنَ
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالَمِينَ وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ
مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ وَمِنَ
آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَيُخَيِّبُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَدَمِ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ
ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ
وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ
الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ
الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
تُخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢ - السَّاعَةُ الدَّقَاقَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ ﴾

طَاسٌ إِلَانْتِكَاسُ

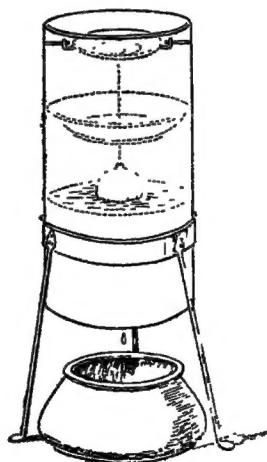
إِنَّ صُنْدُوقَ السَّاعَاتِ الَّتِي بِهَا تَتَعَرَّفُ أَوْقَاتُ
الْصَّلَوَاتِ يَتَرَكَّبُ مِنْ آلَةٍ عَلَى شَكْلِ أُسْطُوَانَةٍ تَحْتَوِي
مِقْدَارًا مِنَ الْمَاءِ مَعْلُومًا وَآلَةٍ أُخْرَى مُجَوَّفَةٍ مَوْضُوعَةٍ فِيهَا
فَوْقَ الْمَاءِ وَخِيطٌ مَشْدُودٌ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي هَذِهِ الْآلَةِ

الظَّرْفُ وَالْكُرَةُ

الطَّاسُ

الآلَةُ الْمُجَوَّفَةُ

الْأُسْطُوَانَةُ



الْمُجَوَّفَةِ وَطَرَفُهُ الْآخَرُ فِي أَسْفَلِ ظَرْفٍ صَغِيرٍ مَوْضُوعٍ

فَوْقَ آلَاةِ الْحِجَافَةِ وَفِيهِ كُرَةٌ وَتَحْتَهُ طَاسٌ بِحَيْثُ لَوْ
سَقَطَتِ الْكُرَةُ وَقَعَتْ فِي الطَّاسِ وَسَمِعَ طَائِفُهَا ثُمَّ
يُنْقَبُ أَسْفَلُ آلَاةِ الْأَسْطُوَانِيَّةِ ثَقْبًا بِقَدَرِ مَعْلُومٍ يَنْزِلُ
الْمَاءُ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا فَإِذَا انْخَفَضَ الْمَاءُ انْخَفَضَتِ آلَاةُ
الْحِجَافَةِ الْمَوْضُوعَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ فَاثْمَدَ الْخَيْطُ
الْمَشْدُودُ بِهَا فَحَرَّكَ الظَّرْفَ الَّذِي فِيهِ الْكُرَةُ تَحْرِيكًا
يُقَرِّبُهُ مِنَ الْإِتِّكَاسِ إِلَى أَنْ يَنْتَكِسَ فَتَنْدَخِرُ مِنْهُ
الْكُرَةُ وَتَقَعُ فِي الطَّاسِ وَتَطْنُ وَعِنْدَ انْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ
تَقَعُ وَاحِدَةٌ

وَإِنَّمَا يَتَقَدَّرُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْوَقْتَيْنِ بِتَقْدِيرِ خُرُوجِ
الْمَاءِ وَانْخِفَاضِهِ وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ سَعَةِ الثَّقْبِ الَّذِي يَخْرُجُ
مِنْهُ الْمَاءُ وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْحِسَابِ فَيَكُونُ نُزُولُ
الْمَاءِ بِمِقْدَارٍ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ بِسَبَبِ تَقْدِيرِ سَعَةِ الثَّقْبِ
بِقَدَرِ مَعْلُومٍ وَيَكُونُ أَعْلَى الْمَاءِ بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ

وَيَتَقَدَّرُ بِهِ انْخِفَاضُ آلَاةِ الْمُجَوَّفَةِ وَانْجِرَارُ الْخَلِيطِ
 الْمُسْتَبْدِوِيَّهَا وَيُولَدُ الْحَرَكَةُ فِي الظَّرْفِ الَّذِي فِي الْكُرَةِ
 وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَقَدَّرُ بِتَقْدِيرِ سَعَتِهِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَيُمْكِنُ
 أَنْ يُجْعَلَ وَقُوعُ الْكُرَةِ فِي الطَّاسِ سَبَبًا لِحَرَكَةٍ أُخْرَى
 وَتَكُونُ الْحَرَكَةُ الْأُخْرَى سَبَبًا لِحَرَكَةٍ ثَالِثَةٍ وَهَكَذَا إِلَى
 دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى يَتَوَلَّدَ مِنْهَا حَرَكَاتٌ عَجِيبَةٌ مُقَدَّرَةٌ
 بِمَقَادِيرَ مَحْدُودَةٍ وَسَبَبُهَا الْأَوَّلُ نُزُولُ الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ
 (الإمام الغزالي)

﴿ ٣٠ - خُطْبَةُ طَارِقٍ قَبْلَ فُتُوحِ الْأَنْدَلُسِ ﴾

دُنُوُّ خُذْلَانٍ مُنَاجَزَةٌ طَاعِيَةٌ
 الْأَرْفَةُ يُعَوِّزُ عَزِيمَةٌ

لَمَّا بَلَغَ طَارِقٌ دُنُوَّ الذَّرِيقِ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ
 وَأَنْتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ الْمَقَرُّ الْبَحْرُ مِنْ

وَرَأَيْكُمْ وَالْعَدُوَّ أَمَانَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللَّهُ إِلَّا الصِّدْقُ
وَالصَّبْرُ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ هُنَا أَضِيعُ مِنَ الْإِيْتَامِ فِي مَادُبَةِ
الْثَّامِ وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِحَيْشِهِ وَأَسْلِحَتِهِ وَأَقْوَاتِهِ
مَوْفُورَةٌ وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ لَكُمْ إِلَّا سِيُوفَكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ
إِلَّا مَا سَخَلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ وَإِنْ أُمِتَّتْ بِكُمْ
الْأَيَّامُ عَلَى أَفْتِقَارِكُمْ وَلَمْ تَنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ذَهَبَ
رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَتْ أَقْلُوبُ مِنْ رُغْبِهَا مِنْكُمْ الْجُرْأَةُ
عَلَيْكُمْ فَارْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خُذْلَانَ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ
أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ هَذَا الطَّاعِيَةِ فَقَدْ أَلَقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ
مَدِينَتَهُ الْخَصِيْنَةَ وَإِنْ أَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِيهِ لَمْ يُكُنْ إِنْ
سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ وَإِنِّي لَمْ أُحْذِرْكُمْ أَمْرًا
أَنَاعَتْهُ بِنَجْوَةٍ وَلَا حَمَلَتْكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا
الْنُفُوسُ إِلَّا أَبَدًا بِنَفْسِي وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ
عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا اسْتَمْتَنْتُمْ بِالْأَرْقَةِ الْأَلَدِ طَوِيلًا فَلَا

تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ قَتْلِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْفَرٍ مِنْ
حَظِّي وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيٌّ لِّإِنْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ
ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ وَأَعْلَمُوا أَنِّي أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ
إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي عَلَى طَاعِيَةِ
الْقَوْمِ لُذْرِيْقٍ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَحِلُّوا مَعِيَ فَإِنْ
هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفَيْتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْوِزْكُمْ بَطْلُ عَامِلٍ
تُسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ
فَاخْلَفُونِي فِي عَزِيمَتِي هَذِهِ وَأَحِلُّوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَاسْتَفْتُوا
لَهُمْ مِنْ فَتْحِ هَذِهِ الْأَرْضِ بِقَتْلِهِ

❖ ٤ - السَّفَرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ

السَّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ (١) ❖

إِنْهَمَكَ	الْأَهْبَةُ	مَكِينٌ	تَعَوَّضُ
دِيَارُ	السَّفَرَةُ	مَرَارَةُ	مَلْسَاةٌ
تَنْقَطِرُ			

لَمَّا أَنهَمَكْتُ فِي اللَّذَاتِ وَأَنْتَهَابِ الْمَسَرَاتِ
 خَطَرِي بِأَلِي السَّفَرِ وَأُشْتَاقَتْ نَفْسِي لِلْمَتَجَرِّ وَلَسِيْتُ مُلَاقِيْتُ
 مِنْ الشَّدَاتِ فَأَخَذْتُ فِي الْأُهْبَةِ وَأَشْتَرَيْتُ مُتَجَرًّا
 مَلِيحًا وَشَدَدْتُ الْأَحْمَالَ وَسَافَرْتُ مَعَ تُجَّارٍ مُرَاقِقِينَ وَرِفَاقٍ
 مُوَاقِقِينَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَرَكِبْنَا فِي مَرْكَبٍ
 مَكِينٍ وَنَحْنُ بِاللَّهِ نَسْتَعِينُ وَمَا زِلْنَا نَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى
 جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَتَتَعَوَّضُ حَتَّى نَزَلْنَا ذَاتَ يَوْمٍ
 عَلَى جَزِيرَةٍ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْمَارِ خَالِيَةٍ مِنَ النَّاسِ
 مَا فِيهَا دَبَّارٌ وَلَا نَافِعٌ نَارٍ فَرَسًا الْمَرْكَبُ عَلَيْهَا وَطَلَعَ
 التُّجَّارُ إِلَيْهَا يَتَفَرَّجُونَ بِرِيَاضِهَا وَأَنْهَارِهَا وَيَجْمَعُونَ مِنْ
 أَزْهَارِهَا وَأَنْمَارِهَا وَأَنَا أَخَذْتُ السُّفْرَةَ وَجَلَسْتُ عَلَى
 سَاقِيَةٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ أَشْجَارٍ مُثْمِرَةٍ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَابَ
 لِي الْمَنَامُ فَرَقَدْتُ مَكَانِي بَيْنَ الْأَشْجَارِ فَمَا اسْتَيْقَظْتُ
 إِلَّا وَالْمَرْكَبُ قَدْ أَقْلَعَ وَسَارَ وَسَافَرَ وَغَاصَ فِي الْبَحْرِ

فَقُمْتُ وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي أُنَيْسًا وَلَا جَلِيسًا فَصَرَخْتُ وَلَطَمْتُ
عَلَى رَأْسِي وَأَقْطَعُ رَجَائِي مِنَ الْحَيَاةِ وَالْدُّنْيَا وَكَادَتْ
تَنْفَطِرُ مَرَارَتِي مِنَ الْخُسْرَاءِ وَبَقِيتُ كَالْمَجْنُونِ لَا أَقْدِرُ
عَلَى السُّكُونِ فَصَعِدْتُ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَنَظَرْتُ يَمِينًا
وَشِمَالًا فَلَمْ أَرْ غَيْرَ الْمَاءِ وَالسَّمَاءِ وَنَظَرْتُ وَإِذَا شَيْءٌ أَيْبَسُ
فَدَلَّاحٌ لِي مِنَ الْبُعْدِ فَزَلْتُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَأَخَذْتُ السُّفْرَةَ
وَكَانَ فِيهَا زَادٌ كَثِيرٌ



ثُمَّ إِنِّي وَصَدْتُ ذَلِكَ الْبَيَاضَ وَإِذَا هِيَ قُبَّةٌ كَبِيرَةٌ

شَاهِقَةً مَدَامَ نَاعِمَةٌ فَدَنَوْتُ مِنْهَا وَدُرْتُ حَوْلَهَا فَلَمْ أَجِدْ
لَهَا أَبَا وَلَمْ أُطِيقِ الصُّعُودَ عَلَيْهَا مِنْ مَلَأْسِهَا وَكَانَتْ
أُسْتِدَارَتَهَا خَمْسِينَ خُطْوَةً فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا فِي ذَلِكَ وَكَانَتْ
الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتْ الْغُرُوبَ وَإِذَا الْجَوُّ قَدْ أَظْلَمَ وَظَهَرَتْ
غَيْمَةٌ كَبِيرَةٌ فَتَأَمَّلْتُهَا وَإِذَا هِيَ طَيْرٌ فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ
الْبَحْرِيُّونَ عَنْ طَيْرِ الرُّخِ الَّذِي هُوَ بِقَدْرِ الْغَيْمَةِ وَبِلَكَ
الْقُبَّةِ هِيَ بَضْعَتُهُ وَإِذَا بِالطَّيْرِ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهَا وَأَنَا فِي جَانِبِهَا
فَوَقَعَ أَحَدُ مَخَالِبِهِ قَدَامِي كَأَنَّهُ سِكَّةٌ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ فَخَلَلَتْ
مِمَامَتِي عَنْ رَأْسِي وَشَدَدَتْ نَفْسِي فِي طَرَفِ الْهِمَامَةِ وَفِي
الْهَلَبِ شَدَا وَثِيقًا وَنَلْتُ لَمَلُ هَذَا الطَّيْرِ يُخْرِجُنِي مِنْ
هَذِهِ الْجُزَيْرَةِ إِلَى مَكَانٍ عَامِرٍ

﴿ هَذِهِ السَّفَرَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ سَفَرَاتِ السَّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ (٢) ﴾

نَكَسَ نَائِيَةً كَهْفُ أَرْتَمِدُ
تَجَلَّتْ

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ أَقْلَعَ الرِّيحُ وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ وَأَنَا
مَرْبُوطٌ فِي مِغْلَبِهِ رَبَطًا وَثِيقًا وَالسَّفَرَةُ مَعِيَ وَلَمْ يَزَلْ مُرْتَفِعًا
إِلَى الْجَوِّ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ أَحْتَكَّ بِالسَّمَاءِ ثُمَّ نَكَسَ
رَأْسَهُ وَطَلَبَ الْأَرْضَ فَلَمْ أَحِسْ بِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا عَلَى
وَجْهِهَا فَخَلَّتْ الْعِمَامَةُ مِنْ مِخَالِيهِ وَإِذَا بِهِ ضَرْبٌ عَلَى حَبِيَّةٍ
كَأَنَهَا جَلُّ وَأَخَذَهَا وَطَارَ وَبَقِيْتُ أَنَا فِي وَادٍ عَمِيقٍ لَا يَبْلُغُ
الْظَّرُّ إِلَى أَرْفَاعِهِ وَلَا سَبِيلٌ إِلَى الْتَزُولِ إِنَّهُ أَوِ الصُّعُودِ
مِنْهُ فَقُلْتُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ كُلُّ نَائِبَةٍ تَأْتِينِي
أَصَابٌ مِنَ الْأُخْرَى



ثُمَّ إِنِّي تَمَشَّيْتُ فِي ذَلِكَ الْوَادِي وَإِذَا أَرْضُهُ جَمِيعُهَا
 مِنْ حَجَرِ الْمَاسِ وَهُوَ مِنْ أَنْخَرِ الْجَوَاهِرِ الْغَالِيَةِ الثَّمَنِ
 وَفِي ذَلِكَ الْوَادِي حَيَاتٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَبْلُغُ الْقِيلَ وَهِيَ
 كَثِيرَةٌ جَدًّا وَتُخْتَفَى بِالنَّهَارِ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ
 وَتَسْمَى بِاللَّيْلِ فَبَقِيْتُ مُتَحَيِّرًا ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى أَنْ أَمْسَى
 الْمَسَاءَ فَعَمَدْتُ إِلَى مَفَارَةٍ فِي كَهْفٍ صَغِيرٍ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ
 وَسَدَدْتُ بَابَهُ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ وَأَخْرَجْتُ مَا بَقِيَ مَعِيَ مِنَ الزَّادِ فِي
 السُّفْرَةِ وَأَكَلْتُ كِفَايَتِي وَأَنَا أُرْتَعِدُ مِنَ الْخَوْفِ وَإِذَا
 بِالْحَيَاتِ خَرَجَتْ تَسْعَى كَالْأَفْيَالِ وَبَعْضُهَا كَالْجَمَالِ
 وَعَانَيْتُ مَا هَالِكِي مِنْهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَقَدْ أُخْتَفَتْ
 الْحَيَاتُ نَفَرَجْتُ أَمْشِي فِي الْوَادِي وَأَنَا فِي حَبْرَةٍ عَظِيمَةٍ
 وَبَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ إِذْ وَقَعَ بِجَانِبِي شِقَّةٌ لَحْمٍ طَرِيٍّ
 فَالْتَفَتُّ وَإِذَا بِشِقِّي كَثِيرَةٌ قَدْ تَسَاقَطَتْ عَلَى الْجِبَالِ
 فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَنِيهِ الْمَلَا حُونَ أَنَّهُ وَادِي الْمَاسِ الَّذِي

يَقْصِدُهُ الثُّجَارُ وَيُسْرِحُونَ اللَّحْمَ وَيَرْمُونَهُ فِيهِ فَيَعْلَقُ
 بِهِ بَعْضُ الْمَاسِ فَتَنْزِلُ الطُّيُورُ وَتَأْخُذُهُ وَتَصْعَدُ إِلَى
 الْجَبَلِ حَتَّى تُطْعِمَهُ أَفْرَاحَهَا فَيَأْتِي الثُّجَارُ وَيَأْخُذُونَ
 مَا لَصِقَ بِهِ مِنَ الْأَحْجَارِ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ شِقَّتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ
 يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِهِذِهِ الْحِيلَةِ فَطَارَ قَلْبِي بِذَلِكَ
 وَجَمَعْتُ مِنَ الْوَادِي مَا قَدَرْتُ مِنْ أَنْفَرِ الْمَاسِ الْمَلِيحِ
 وَمَلَأْتُ السَّفْرَةَ وَأَتَيْتُ إِلَى شِقَّةٍ كَبِيرَةٍ تَجَلَّتْ فِيهَا وَبَعْدَ
 قَلِيلٍ أَتَيْتُ النَّسُورَ وَكُلُّ مِنْهَا حَمَلٌ شِقَّةً وَارْتَفَعَ بِهَا إِلَى
 أَعْلَى الْجَبَلِ وَشِقَّتِي حَمَلَهَا نَسْرٌ كَبِيرٌ وَوَضَعَهَا فَوْقَ الْجَبَلِ
 أَيْضًا وَإِذَا بِصَيْحَاتٍ فَذَعَلْتُ عَلَى النَّسُورِ فَأَجْنَلْتُ
 وَتَرَكْتُ الْأَحْجَارَ وَطَارَتْ

﴿ ٦ ﴾ — السَّفْرَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ سَفَرَاتِ

السِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ (٣) *

إِرْتَبَبَ قَبْضَةً أَعْيَ الْكَرَكَدَنُّ

فَأَتَى التُّجَّارُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شِقَّتِهِ فَهَضَّ صَاحِبُ
شِقَّتِي لِيَأْخُذَ مَا لَصِقَ بِهَا فَوَجَدَنِي وَارْتَعَبَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُ
لَا تَخَفْ أَنَا إِنْسَانٌ مِثْلَكَ فَصَرَخَ وَبَكَى وَقَالَ يَا خَبِيَّةَ
تِجَارَتِي فِيكَ فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَنَا مَعِيَ شَيْءٌ أُعْطِيكَ
أَكْثَرَ مِمَّا حَصَلَ لِرِفَائِكَ ثُمَّ إِنَّهُ تَقَدَّمَ وَحَلَّ الشِّقَّةَ
وَالْعِيَامَةَ وَأَخْرَجَنِي وَإِذَا بِالتُّجَّارِ قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيَّ وَسَأَلُونِي
عَنْ حَالِي فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا جَرَى لِي فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ

ثُمَّ مَضَوْا وَأَنَا مَعَهُمْ إِلَى مَجْمَعِ التُّجَّارِ فَأَخْرَجْتُ
مِنَ السَّفَرَةِ الَّتِي مَعِيَ وَأَعْطَيْتُ صَاحِبَ شِقَّتِي نَصِيبَهُ
وَكَنتُ قَدْ مَلَأْتُهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَنَمَتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونِي عَنْ عُمَرَى وَأَنَا لَا أَعِي مِنْ
فَرَحِي وَأَظُنُّ إِنِّي فِي الْمَنَامِ ثُمَّ قَمْنَا فِي النَّدَى وَسِرْنَا فِي جِبَالِ
عَالِيَةِ حَتَّى أَتَيْنَا جَزِيرَةَ الرُّهَا وَفِيهَا شَجَرُ الْكَافُورِ كُلُّ

شَجَرَةٍ مِنْهَا نُظِّلُ مَائَةً رَجُلٍ فَأَكْثَرَ وَيَسْتَخْرِجُونَهُ بِأَنْ
يَتَّقُوا عَلَى الشَّجَرَةِ فَيَسِيلَ مِنْهَا مَاءُ الْكَافُورِ وَيَمْلَأُ جِرَارًا
كَثِيرَةً وَلَمَّا ذَلِكَ يَظْهَرُ فَطَرُ الْكَافُورِ كَالصَّنْعِ ثُمَّ
يَبْطُلُ وَتَجِفُّ الشَّجَرَةُ

وَفِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَحْشٌ يُسَمَّى الْكَزْ كَدَنٌ كَرَعَابَا
الْبَقَرِ دُونَ الْفِيلِ وَأَكْبَرُ مِنَ الْحَامُوسِ وَمَا كُولُهُ نَبَاتُ
الْأَرْضِ وَلَهُ قَرْنٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ طُولُهُ ذِرَاعٌ
وَعَرْضُهُ قَبْضَةٌ وَهَذَا الْحَيَوَانُ يَشْكُ الْفِيلَ بِقَرْنٍ يَحْمِلُهُ
عَلَى رَأْسِهِ فَيَسِيلُ دُهْنُهُ عَلَى عَيْنَيْ الْكَزْ كَدَنٍ فَيَغْمِيقُهُ
وَيَبْقَى مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ فَيَأْتِي الرِّيحُ وَيَأْخُذُ الْإِثْنَيْنِ
فِي مَخَالِبِهِ وَيُطْعِمُهُمَا فِرَاحَهُ

ثُمَّ إِنِّي بَعْتُ مِنَ الْمَنَاسِكِ الَّذِي مَعِيَ وَتَوَعَّضْتُ شَيْئًا
كَثِيرًا وَمَا زِلْتُ أُسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بِلَادٍ
إِلَى بِلَادٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ وَدَخَلْتُ

ذَكَرَى وَمَعَى مِنَ الْمَالِ مَا لَا يُوصَفُ وَلَا يُعَدُّ فَتَصَدَّقَتْ
وَأَعْطِيَتْ الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَبَقِيَتْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ
أَقْضَى الْأَوْقَاتِ بِالْهَنَاءِ وَالْمَسَرَاتِ وَلَسِيَتْ مَا لَا فَيْتُ
مِنَ الْمُسْقَاتِ

﴿ ٧ - الْمَوَاهِ ﴾

مَلَاكَ اضْطَرَمَّ فَوْزٌ شَفِيفٌ
يَسْتَمِدُّ يَنْفُتُ

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكَ إِذَا سَأَلَكَ سَائِلٌ عَنْ أَسْمِ الشَّيْءِ
الَّذِي يُعْتَبَرُ مَلَاكَ الْحَيَاةِ لِكُلِّ كَائِنٍ حَيَوَانِيٍّ أَوْ نَبَاتِيٍّ
وَإِذَا اسْتَرْذَتْهُ إِیْضَاحًا قَالَ لَكَ إِنَّهُ أَشَدُّ لُزُومًا مِمَّا سِوَاهُ
مِنْ أَسْبَابِهَا وَمُعَدَّاتِهَا وَلَوْلَا مَا اضْطَرَمَّتْ نَارُهُ وَلَا انْتَشَرَ
صَوْتُهُ وَلَا طَارَ طَائِرُهُ فِي الْجَوِّ وَلَا تَحَرَّكَ سَحَابٌ وَلَا
تَلَوَّنَتْ السَّمَاءُ بِاللَّوْنِ الْأَزْرَقِ الْجَمِيلِ الَّذِي نَرَاهُ ذَلِكَ
هُوَ الْمَوَاهِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَنْ يَحْيَا بِدُونِهِ

وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا سُدَّ أَنْفُ حَيَوَانٍ وَفُوهُ
 حَتَّى لَا يَدْخُلَ هُمَا الْهَوَاءُ انْقَطَعَتْ أَنْفَاسُهُ فَقَضَى مِنْ
 فَوْزِهِ مَعَ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُمْسِكَ عَنِ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ أَيَّامًا
 وَالْهَوَاءَ جِسْمٌ لَطِيفٌ شَفِيفٌ يُحِيطُ بِالْكُرَةِ
 الْأَرْضِيَّةِ وَيَمْلَأُ فَوْقَهَا إِلَى بَعْدٍ لَا يَقِلُّ عَنْ خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ
 مِيلًا وَهُوَ مُنْتَشِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَمَا
 تَطْنُوهُ مِنَ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَيَّةِ خَلَوْا مِنَ الْهَوَاءِ إِنَّمَا هُوَ
 مَمْلُوءٌ بِهِ وَحَسْبُكَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِهِ فِي مَكَانٍ مُغْلَقٍ أَنَّكَ
 إِذَا حَرَّكَتَ يَدَكَ بِسُرْعَةٍ أَحْسَسْتَ بِهِ يَعْترِضُ حَرَكَتَهَا
 وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مِنْ عُنْصُرَيْنِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى الْأَكْسِجِينِ
 وَالْآخَرُ الْأَزْتُ بِنِسْبَةِ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ الْأَوَّلِ
 إِلَى سَبْعَةِ وَسَبْعِينَ مِنَ الثَّانِي فِي كُلِّ مِائَةِ جُزْءٍ مُقَدَّرَةٍ
 بِالْوِزْنِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ خَالِصًا بَلْ يَمْتَزِجُ بِمَوَادٍّ أُخَرَ
 كَالْحَامِضِ الْكَرْبُونِيِّ وَبُخَارِ الْمَاءِ وَغَيْرِهَا وَيَتَبَدَّلُ

الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ الْهَوَاءَ يَنْتَهَمَا فِي التَّنَفُّسِ فَالْحَيَوَانُ
يَسْتَنْشِقُهُ لِيَسْتَمِدَّ مِنْهُ الْأَكْسِجِينَ الَّذِي بِهِ يَنْتَشِ الْأَدْمُ
وَيَنْفُثُ الْحَامِضَ الْكَرْبُونِيَّ وَبُخَارَ الْمَاءِ وَمَادَّةَ حَيَوَانِيَّةٍ
فَاسِدَةٍ وَيَحْصُلُ التَّنَفُّسُ فِي النَّبَاتِ بِوَاسِطَةِ أَوْزَاقِهِ
فَتَسْتَمِدُّ مِنَ الْهَوَاءِ الْكَرْبُونُ مِنْ حَامِضِهِ الْكَرْبُونِيَّ
وَيُطْلَقُ الْأَكْسِجِينَ بِالنَّهَارِ وَأَمَّا بِاللَّيْلِ فَيُطْلَقُ النَّبَاتُ
الْحَامِضَ الْكَرْبُونِيَّ

* ٨ - دَوْلَةُ الْمَمَالِكِ فِي مِصْرَ *

يُكْفَرُ صَادِرَ نُجْبَى مُهَيَّنُ الْعِيَالُ
إِنْ كَانَ هُنَاكَ آثَارُ ظَاهِرَةٍ مَلِكِيَّةٍ فِي مِصْرَ
وَالشَّامِ فَلِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ تَأْمِلُ الْمَسَاجِدَ
الْكُبْرَى وَبِمَهْمَا كَانَ مُعَدًّا لِدِرَاسَةِ الْعِلْمِ وَتَعْرِفَ مَنْ
بَنَاهَا تَجِدُهُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَةِ الْمَمَالِكِ وَالْمَنْسُوبُ إِلَى غَيْرِهِمْ
قَلِيلٌ وَلَمَلَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ كَثِيرًا مِنْ

السَّيِّئَاتِ الَّتِي كَانُوا يَرْكَبُونَهَا فِي أَحْكَامِهِمْ
كَانَ الْمَلِكُ وَالْأَمِيرُ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ حُرًّا فِي الرِّعْيَةِ
فَإِذَا غَضِبَ لَا يَقُومُ لِنَفْسِهِ شَيْءٌ فَإِنْ شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ
سَادَرَ فَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَفَضَحَ الْعِيَالَ وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ
يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ لَهُ لَمْ فَلْتَ وَلَمْ قَتَلْتَ

وَإِذَا أَحْتَاجَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النُّقُودِ
لِسِدِّ حَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِهِ فَسَرَّعَانَ مَا يُصْدِرُ أَمْرَهُ بِأَنْوَاعٍ
مِنَ الْمَظَالِمِ فَتُجْبَى الْأَمْوَالُ وَيُلَاقِي النَّاسُ مِنَ الْعَذَابِ
مَا لَا مَثِيلَ لَهُ حَتَّى تَرِبَتِ الرِّعْيَةُ عَلَى الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ وَرَأَوْا
أَنْ حِيلَتْهُمْ الْوَحِيدَةُ لِلْخَلَاصِ مِنَ الشَّرِّ أحيانًا إِنَّمَا هِيَ
الْكُذْبُ وَقَلَّمَا كَانَ يُنَجِّيهِمْ لِأَنَّ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ
الَّتِي كَانَتْ تَنْصَبُ حِينَئِذٍ عَلَى بَدَنِ الْمُنْكَرِ تُخْرِجُ مِنْهُ
مَا عِنْدَهُ فَيَعْدَمُ نَفْسَهُ وَيَعْدَمُ مَالَهُ

وَكَانَتْ الْمَظَالِمُ الَّتِي تُجْبَى بِهَا الْأَمْوَالُ تَكْثُرُ

وَسَلَّ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ مِنَ الْقَدَلِ وَالْظُّلْمِ
وَحَيْزِ الْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ الْجَمْعَةِ السُّلْطَانُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ
قَلَاوُنَ فَإِنَّهُ أَبْطَلَ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنْ هَذِهِ الْمَظَالِمِ
وَقَدْ نَبَغَ فِي مِصْرَ فِي أَيَّامِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ
كَجَلَّالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا
الْأَنْصَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا
وَبِالْجَمْعَةِ فَسُلْطَنَةُ الْمَمَالِكِ عَلَى مِصْرَ كَانَ شَرُّهَا
أَكْثَرُ مِنْ خَيْرِهَا وَيَكْفِي الْأُمَّةَ عَارًا وَحِطَّةً أَنْ يُشْتَرَى
الْمُلُوكُ الْيَوْمَ بِالذَّرْهِمِ ثُمَّ يَصِيرَ بَعْدَ حِينٍ مَلِكًا
مُهَيِّمًا عَلَيْهَا

(تاريخ الشيخ الحضري)

❖ ٩ - فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَعِزَّةِ النَّفْسِ ❖

تَبَرَّحُ	أَهَابُ	مُبْتَدَلُ	بُرْهَى
شَوَّطُ	السِّفْلُ	دَرَجُ	دَخَلُ
يُمَوِّلُ	مَعْجَزَةُ	وَجَلُ	دَارَةُ

إِنَّ الْمَلَأَ حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
 فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعِزَّ فِي النُّقْلِ
 لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مَنَى
 لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ
 أَهَبْتُ بِالْحِظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِيعًا
 وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجَهَالِ فِي شُغْلٍ
 لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَتَقْصُصُهُمْ
 لَعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
 أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا
 مَا أَصْبَقَ الْعَيْشَ لَوْ لَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
 لَمْ أَرْضَ بِالْعَيْشِ وَالْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ
 فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وُلْتُ عَلَى عَجَلٍ
 غَالَى بِنَفْسِي عِرْقَانِي بِقِيَمَتِهَا
 فَصَنَّتْهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَدَلِ

وَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يُزْهَى بِمَجْوَهَرِهِ
وَلَيْسَ يَفْعَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلٍ
مَا كُنْتُ أَوْزِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسِّفَلِ
قَدْ مَنَنِي أَنَا كَمَا كَانَ شَوْطُهُمْ
وَرَأَى خَطْوِي لَوْ أَمْشِي عَلَى مَهَلٍ
هَذَا جَزَاءُ أَمْرِي أَفْرَانُهُ دَرَجُوا
مِنْ قَبْلِهِ فَمَنَى فُسْحَةً الْأَجَلِ
وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبُ
لِي أَسْوَةٌ بِأَنْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلٍ
فَأَصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجَرٍ
فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْحِيلِ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقَتْ بِهِ
تَحَاذِرِ النَّاسَ وَأَصْحَابَهُمْ عَلَى دَخَلِ

فَأَمَّا رَجُلٌ أَلَدْنِيَا وَوَلَدِيهَا
 مَن لَّا يُعَوِّلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ .
 وَحَسَنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ
 فَظُنْ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
 (الطغرائي)

* ١٠ - أَجْسَامُنَا (١) *

شُبُهَةٌ عِمَادُ الْجُنَجُمَةِ عِرْنِينَ
 الْوَجْنَةُ

لَا شُبُهَةَ فِي أَنْ كُلًّا مِنْهُ يُحْسَرُ أَنْ بِهِ قِطْعًا صَلْبَةً يَنْبَنِي
 عَلَيْهَا جِسْمُهُ وَهَذِهِ الْقِطْعُ الصَّلْبَةُ تُكُونُ مَا يُسَمَّى
 الْهَيْكَلَ الْعَظْمِيَّ وَلَا تَقِلُّ فِي عَدِيدِهَا عَنْ مِائَتَيْ قِطْعَةٍ
 مُتَفَصِّلٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُّمَيِّزَةٍ فِي أَشْكَالِهَا وَأَنْدَارِهَا
 وَوُظَائِفِهَا أَنْ تَكُونَ عِمَادًا لِلْأَجْزَاءِ الْأَحْمِيَّةِ وَأَنْ
 تُكْسِبَ الْجِسْمَ قُوَّةً وَمَتَانَةً وَالْهَيْكَلُ الْعَظْمِيُّ هُوَ الَّذِي



يُعَيِّنُ شَكْلَ الْجِسْمِ وَبِهِ يُمَكِّنُ

الْحُكْمَ عَلَى نَوْعِ الْحَيَوَانِ .

وَالْأَنْسَامُ الْأَسَاسِيَّةُ

لِلْمَيْسَلِ الْعَظْمِيِّ ثَلَاثَةُ الرُّأْسِ

وَالْجَذَعُ وَالْأَطْرَافُ

يَتَرَكَّبُ الرُّأْسُ مِنْ

جُزْأَيْنِ الْجَنْجَمَةِ وَالْوَجْهَ

فَالْجَنْجَمَةُ صُنْدُوقٌ مُجَوَّفٌ

وَوَظِيفَتُهُ تَغْلِيفُ الدِّمَاغِ وَوَقَايَتُهُ

وَهِيَ تَتَرَكَّبُ مِنْ ثَمَانِي قِطْعٍ عَظِيمَةٍ مُثَبَّتٍ بَعْضُهَا فِي

بَعْضٍ تَثْبِينًا مُحْكَمًا . وَأَمَّا الْوَجْهُ فَيَشْتَلُ بَاقِيَ الرُّأْسِ وَعَدَدُ

الْعِظَامِ فِيهِ لَا يَقِلُّ عَنْ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ قِطْعَةً وَأَعْجَبُ

مَا يَلَاحِظُ فِي وَضْعِ هَذِهِ الْعِظَامِ مَا كَانَ خَاصًّا بِإِحْكَامِ



وَضَعِ الْعَيْنَيْنِ فِي ثُقُرَتَيْنِ فِي الْعِظَامِ
هُمَا الْمَخْجِرَانِ وَاعْجَبُ مِنْ هَذَا
وَقَابُهَا مِنْ فَوْقُ بِالْجُمُحَةِ وَمِنْ تَحْتِ
بِمِطْمَى الْوَجْتَيْنِ وَمِنْ بَيْنَهُمَا بَعْرَتَيْنِ الْأَنْفِ وَلَيْسَ
مِنْ عِظَامِ الْوَجْهِ الْأَرْبَعَةُ عَشَرَ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ
عَظْمُ الْفَكِّ السُّفْلِيِّ يَتَحَرَّكُ لِفَتْحِ الْفَمِ أَوْ إِغْلَاقِهِ وَيَتَّصِلُ
عَظْمُ الْفَكِّ بِعَظْمِ الْجُمُحَةِ بِمَفْصِلٍ وَفِي الْفَكِّ أَسْنَانٌ
لِتَمْرِيقِ الْأَغْذِيَةِ وَمَضْغِهَا وَهِيَ فِي الْأَطْفَالِ عِشْرُونَ وَتُسَمَّى
أَسْنَانُ اللَّبَنِ أَوْ أَسْنَانُ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ وَفِي الْكِبَارِ
اَثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ وَتُسَمَّى الْأَسْنَانُ الْمُعَوِّضَةُ أَوْ أَسْنَانُ
الْإِنْسَانِ الثَّانِي وَتَبْقَى هَذِهِ مَعَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ

✽ ١١ - أَجْسَامُنَا (٢) ✽

الْمَحَالَّةُ الْفِقْرِيُّ الْقَصُّ الْخَوْضُ غَضْرُوفِيَّةٌ
الْمَصْصِيَّةُ الْمَجْزِيَّةُ الْحَرْقَفَةُ الْقَطْنِيَّةُ

جَذْعُ الْإِنْسَانِ هُوَ ذَلِكَ الْجُزْءُ مِنْ جِسْمِهِ الَّذِي
يُمْنَى إِذَا قُضِيَ مِنْهُ الرُّأْسُ وَالْأَطْرَافُ وَتَكُونُ مِنْ



جُزْءٍ أَصْلِيٍّ هُوَ الْحَالَةُ أَوْ الْعَمُودُ الْفَقْرِيُّ
وَمِنْ أَجْزَاءِ فِرْعِيَّةٍ هِيَ الْقَفْصُ وَالْأَضْلَاجُ
وَالْحَوَاضُ وَيَمْتَدُّ الْعَمُودُ الْفَقْرِيُّ مِنْ
أَسْفَلِ الرُّأْسِ وَالْمُنْقَى إِلَى أَسْفَلِ الطَّرْفِ
الْخَلْفِيِّ مِنَ الْجَذْعِ وَتَكُونُ مِنْ عَدَدِ

كَبِيرٍ مِنْ عِظَامٍ صَغِيرَةٍ تُسَمَّى الْفَقَرِ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ
وَبَيْنَ كُلِّ فِقْرَةٍ وَأُخْرَى طَبَقَةٌ غَضْرُوفِيَّةٌ تُشَابِهُ عَمَلُ خُفِّ
الْبَعِيرِ لِتَخْفِيفِ أَصْطِدَامِ عِظَامِ الْفَقَرِ عِنْدَ الْحَرَكَةِ وَفَقَرَاتُ
الْإِنْسَانِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَبْعُ عُنُقِيَّةٌ تَحْمِلُ الرُّأْسَ وَيَلِي
هَذِهِ اثْنَا عَشَرَ فِقْرَةً ظَهْرِيَّةً تَحْمِلُ كُلُّ مِثْلٍ مِنْهَا صِلَمَيْنِ وَاحِدًا
مِنْ كُلِّ جَنْبٍ وَهَذِهِ الْأَضْلَاجُ وَعَدَدُهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ
هِيَ الَّتِي تُكَوِّنُ الْقَفْصَ الْعَظْمِيَّ الَّذِي تُسَمِّيهِ الصَّدْرُ

وَمِنْ هَذِهِ الْأَصْلَاحِ سَبْعَةُ أَزْوَاجٍ تَنْفَعُ إِلَى الْأَمَامِ بِعَظَمِ
وَاحِدٍ يُسَمَّى الْقَصْرَ وَأَمَّا الْخُمْسَةُ الْبَاقِيَةُ فَلَا تَمْتَدُّ إِلَى هَذَا
الْعَظَمِ

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ الْفَقَرَاتِ فِي الْأَطْفَالِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ
وَفِي الْكِبَارِ سِتٌّ وَعِشْرُونَ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْفَقَرَاتِ
الْأَرْبَعَ السُّفْلَى وَتُسَمَّى الْمُصْغَبَةُ تَلْتَحِمُ وَتُكُونُ
عَظْمًا وَاحِدًا يُقَابَلُ الذِّلُّ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْمَى وَتَلْتَحِمُ
أَيْضًا الْخُمْسُ الْفَقَرَاتُ الَّتِي تَلِيهَا مِنْ فَوْقُ وَتُسَمَّى
الْفَقَرَاتِ الْمَجْزِيَّةُ فَتُكُونُ عَظْمًا وَاحِدًا يُسَمَّى الْعَجْزُ
وَفَوْقَ الْعَجْزِ خَمْسُ فَقَرَاتٍ تُسَمَّى الْفَقَرَاتِ الْقَطْنِيَّةُ وَأَمَّا
الْحَوْضُ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَكُونُ بِالنِّجَامِ
عَظِيمِ الْحَرَقَةِ بِعَظَمِ الْعَجْزِ أَسْفَلَ الْعَمُودِ الْفِقْرِ
وَالْأَطْرَافُ أَرْبَعَةُ أَثْنَانِ عُلَوِيَّانِ وَأَثْنَانِ سُفْلِيَّانِ
وَيَكُونُ كُلُّ طَرَفٍ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْمُلَوَّيْنِ مِنْ ذِرَاعٍ

وَسَاعِدٍ وَيَدٍ وَيَتَكُونُ كُلٌّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ السُّفْلَيْنِ مِنْ
كَلَامَةِ أَجْزَاءِ وَهِيَ الْفَخِذُ وَالسَّاقُ وَالْقَدَمُ

﴿ ١٢ - التَّارِيخُ (١) ﴾

حَضَارَةٌ أَقَاصِيصُ الْأَمْنِهَانُ تَدْوِينُ
مُنَسَّقَةٌ الرَّحَالَةُ وَقَاعُ الذَّائِعُ
كَانَ التَّارِيخُ فِي أَوَّلِ حَضَارَةِ الدُّنْيَا حِكَايَاتِ
وَأَقَاصِيصَ يَتَنَاوَلُهَا النَّاسُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَيَلْبِسُونَهَا مِنْ
الزُّخْرُفِ وَالْفَرَايَةِ ثَوْبًا يَجْعَلُ جُلُهَا مُسْتَحِيلًا لَا يَلْقَى إِلَّا
التَّكْذِيبَ وَالْأَمْنِهَانَ لِأَنَّ النُّقْلَ بِاللِّسَانِ عُرْضَةٌ
لِلتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ حَتَّى إِذَا مَا ابْتَدَعَتِ الْكِتَابَةُ سَارَعَ
النَّاسُ إِلَى تَدْوِينِ أَعْمَالِهِمْ إِنْ كَانُوا عِظَامًا أَوْ تَدْوِينِ
الْحَوَادِثِ الْعَظِيمَةِ إِذَا تَرَكْتَ أَثَرًا فِي قُلُوبِهِمْ
وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ عِلْمَ التَّارِيخِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ وَلَكِنْ
قَدَمَاءُ الْمِصْرِيِّينَ كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ مِيلًا إِلَى تَدْوِينِ

عَادَاتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَحَوَادِثِهِمْ بِالْكِتَابَةِ التَّصْوِيرِيَّةِ تَلَوَّةً
بِالنَّقْشِ عَلَى الْأَحْجَارِ كَمَا يَرَى الْآنَ فِي مَعَابِدِهِمْ وَأَثَارِ
أَنْبِيَائِهِمْ وَطُورًا عَلَى رِفَاقِ الْبَرْدَى الْمُوَدَّعَةِ فِي كَثِيرٍ
مِنَ الْمُتَحَافِ وَأَوَّلُ كِتَابٍ مُقَدَّسٍ دُونَتْ فِيهِ
الْحَوَادِثُ وَالْوَقَائِعُ النَّارِيخِيَّةُ بِطَرِيقَةٍ مُنْسَقَةِ هُوَ التَّوْرَةُ
وَيُقَالُ إِنَّهَا كُتِبَتْ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ
وَفِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ قَبْلَ الْمِيلَادِ نَظَمَ هُومِرُسُ الشَّاعِرُ
الْيُونَانِي الشَّهِيرُ شِعْرَهُ الْقَصَصِي الَّذِي ضَمَّنَهُ تَارِيخَ الْيُونَانِ
الْقَدِيمِ وَأَتَتْصَارَهُمْ عَلَى أُمَمِ الْأَرْضِ الْمَعْرُوفَةِ فِي ذَلِكَ
الزَّمَانِ وَمَا أَتَاهُ ابْنَطَالُ الْيُونَانِ مِنْ تَحْيِيدِ الْأَعْمَالِ الَّتِي
اِكْتَسَبَتْ الْيُونَانِيُّونَ عَطْفَ أَوْزُبَا وَأَحْتِرَامَهَا وَأَوَّلُ
مَنْ كَتَبَ التَّارِيخَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ هُوَ هِيرُودُتُسُ
الرَّحَالَةُ الذَّاغِعُ الْبَصِيتُ الْمَلَقَّبُ بِأَبِي التَّارِيخِ وَقَدْ ضَمَّنَ
كِتَابَهُ تَارِيخَ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ إِلَى عَهْدِهِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ

قَبْلَ الْمِيلَادِ

﴿ ١٣ - التَّارِيخُ (٧) ﴾

عُمْدَةُ كَهَنَةُ عِبْرَانِي أُسْتَقْصَى
زُهَاهُ حَدَا

فِي الْقُرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ ظَهَرَ مُؤَرِّخُ أَسْنَةِ
تِسْيَاسٍ وَهُوَ طَيْبٌ فَارِسِيٌّ كَتَبَ كِتَابًا فِي تَارِيخِ
الْفُرْسِ الْقَدِيمِ

وَهُوَ مِيرْسُ وَهَرُودَتُسُ وَتِسْيَاسُ هُمُ عُمْدَةُ التَّارِيخِ
الْقَدِيمِ وَلِإِنِّهِمُ الْمَرْجِعُ فِي تَحْقِيقِ الْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ
الْقَدِيمَةِ فِيمَا عَدَا التَّارِيخَ الْمُقَدَّسَ وَقَدْ حَدَا حَدَوْهُ هَؤُلَاءِ
كَثِيرُونَ يَمُنُّونَ بِمَا بَدَّعُوا فِي جُمْلَتِهِمْ سِيَّائَتُسُوسُ أَحَدُ
كَهَنَةِ الْمِصْرِيِّينَ فِي الْقُرْنِ الثَّالِثِ قَبْلَ الْمِيلَادِ وَكَتَبَ
فَارِيحًا عَنْ مِصْرَ لَمْ يَصِلْنَا مِنْهُ إِلَّا مَا تَقَلَّهَ مُؤَرِّخُ عِبْرَانِيٍّ
عَنْهُ وَظَهَرَ بِمَدِّهِ هَذَا مِثُودَرُسُ الصِّفَلِيِّ نَحْوَ زَمَنِ الْمِيلَادِ

وَشَاعَ عِلْمُ التَّارِيخِ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى قِرَائَتِهِ فَتَشَأَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَحَضِّرَةِ وَأَمَّا مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ مِنَ الْقِصَصِ وَالْأَخْبَارِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا آيَاتٍ أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا عِبَادَهُ لِتَكُونَ لَهُمْ هُدًى وَرَحْمَةً وَعِبْرَةً وَذِكْرًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

وَقَدْ نَبَغَ فِي التَّارِيخِ مِنَ الْعَرَبِ كَثِيرُونَ أُسْتُفْصِيَ مَا أَلْفَوْهُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَبَلَغَ زُهَاءُ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ كِتَابٍ مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِنَحْوِ بَلَدَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ مِنَ النَّاسِ وَمِنْهَا مَا هُوَ عَامٌّ وَأَشْهُرُهَا تَارِيخُ الْمُسْعُودِيِّ وَتَارِيخُ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ خَلْدُونٍ وَابْنِ خَلِّكَانَ وَابْنِ الْأَثِيرِ وَابْنُ الْفِدَاءِ وَالْمَقْرِزِيُّ وَغَيْرُهُمْ وَهَؤُلَاءِ تَقَاتُ تَارِيخُ الْمُسْلِمِينَ وَتُعَمِّدُهُ مُؤَرِّخِيهِمْ

د ١٤ - الْأَعْتِرَافُ بِالْجَمِيلِ

بِطَانَةِ الْخَوَارِجِ مَوْلَى فَلَادَةَ

صَلَّةُ

كَانَ الْخَلِيفَةُ الْمَنْصُورُ يَتَطَلَّعُ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِأُمُورِ
النَّاسِ عُمُومًا وَإِلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ خُصُوصًا فَبَلَغَهُ
أَنَّ مِنْ مَشَائِخِ أَهْلِ الشَّامِ شَيْخًا مَعْرُوفًا وَكَانَ بَطَانَةً
لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ
وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ تَذْيِيرِ هِشَامِ فِي حُرُوبِهِ مَعَ
الْخَوَارِجِ فَوَصَفَ لَهُ الشَّيْخُ مَا دَبَّرَ وَقَالَ « فَعَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ
كَذًا وَكَذًا » فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ « قُمْ عَنِّي تَطَأُ بِسَاطِي
وَتَتَرَحَّمُ عَلَى عَدُوِّي » فَقَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ مُوَلٌّ يُرِيدُ
الْخُرُوجَ « إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لَقِلَادَةٌ فِي عُنُقِي لَا يَتَرَعَّاهَا إِلَّا
غَاسِلٌ » فَلَمَّا سَمِعَهُ الْمَنْصُورُ قَالَ « رُدُّوهُ » فَلَمَّا رَجَعَ
قَالَ « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَوْثًا مَنْ نَمَّ
يَجْعَلُ دُعَاءَهُ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِ وَحَمْدَهُ لِمَعْرُوفِهِ
عِنْدَهُ وَفَاءَهُ لَهُ وَلَوْ أَمَكَنِي الْقَدَرُ وَأَقْدَرَنِي الْقَضَاءُ عَلَى

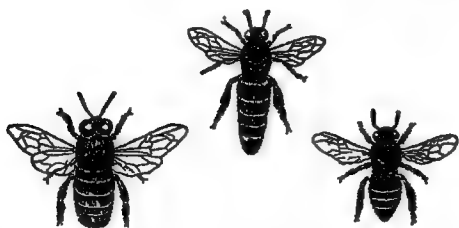
أَلَوْفَاءَ لِهَشَامٍ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ لَوَجَدَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَقْبَلَ لَهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ « أَرْجِعْ يَا شَيْخُ إِلَى
تَمَامِ حَدِيثِكَ » ثُمَّ أَقْبَلَ الْمَنْصُورُ عَلَى حَدِيثِهِ إِلَى أَنْ
فَرَغَ فَدَعَا الْمَنْصُورُ بِمَالٍ وَكُسُوفٍ وَقَالَ « خُذْ هَذَا صَلَّةً
مِنْكَ » فَأَخَذَ ذَلِكَ وَقَالَ « وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَا بِي مِنْ حَاجَةٍ وَلَقَدْ مَاتَ عَنِّي مَنْ كُنْتُ فِي ذِكْرِهِ
فَمَا أَحْجَجَنِي إِلَى وَقُوفِي عَلَى بَابِ أَحَدٍ بَعْدَهُ وَلَوْ لَا جَلَالُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلُزُومُ طَاعَتِهِ وَإِثَارُ أَمْرِهِ لَمَا لَبِسْتُ
نِعْمَةً أَحَدٍ بَعْدَهُ » فَقَالَ الْمَنْصُورُ « لِلَّهِ أَنْتَ لَوْ لَمْ يَكُنْ
لِقَوْمِهِ غَيْرُكَ لَكُنْتَ أَبْقَيْتَ لَهُمْ ذِكْرًا مُخْلَدًا وَبِحَدِّ
بَاقِيَا بِوَفَائِكَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ »

(العقد الفريد للملك السعيد)

* ١٥ - (١) يَنْسُوبُ النَّحْلُ *

بِفِيَّةٍ مَذْمُوحٍ مُكْتَنَفَاتٍ حُمَةٍ

الرَّخَاوَةُ أَتَنَسَّمُ أَزْجُرُ



إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ بُنْيَةَ جَسَدِي ثَلَاثَةَ مَفَاصِلَ
مَحْزُوزَةٍ جَعَلَ وَسَطَ جَسَدِي مَرْبَعًا مُكَعَّبًا وَمَوْخِرَ جَسَدِي
مُدْبَجًا مَخْرُوطًا وَرَأْسِي مُدَوَّرًا مَبْسُوطًا وَرَكَبِي فِي وَسْطِي
أَرْبَعَ أَزْجُلٍ وَيَدَيْنِ مُتَنَاسِبَاتِ الْمَقَادِيرِ كَأَصْلَاحِ الشَّكْلِ
الْمُسَدَّسِ فِي الدَّائِرَةِ لِاسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ
وَالْوُقُوعِ وَالنُّهْضِ وَأَقْدَرَ بِنَاءِ أَسَاسِ مَنْزِلِي وَيُؤْتِي عَلَى
أَشْكَالِ مُسَدَّسَاتِ مُكْتَنَفَاتٍ كَيْ لَا يَدْخُلَهَا الْهَوَاءُ فَيُضَرُّ
بِأَوْلَادِي أَوْ يُفْسِدَ شَرَابِي الَّذِي هُوَ قُوَّتِي وَذَخَائِرِي وَبِهِدِهِ
الْأَرْبَعِ الْأَرْجُلِ وَالْيَدَيْنِ أَجْمَعُ مِنْ وَرَقِ الْأَشْجَارِ
وَالزَّهْرِ وَالنِّمَارِ الرُّطُوبَاتِ الدَّهْنِيَّةِ

وَجَعَلَ عَلَى كَتِفِيَّ أَرْبَعَةَ أَجْنِحَةٍ خَفِيفَةٍ حَرِيرِيَّةٍ
لِأَسِيحَ فِي الطَّيْرَانِ فِي جَوْءِ السَّمَاءِ وَجَعَلَ مُؤَخَّرَ بَدَنِي
مَخْرُوطَ الشَّكْلِ مُجَوَّفًا مُدْمَجًا مَمْلُوءًا هَوَاءً لِيَكُونَ مُوَازِيًا
لِنَقْلِ رَأْسِي فِي الطَّيْرَانِ وَجَعَلَ لِي حِمَّةً حَادَّةً كَأَنَّهَا شَوْكَةٌ
وَجَعَلَهَا سِلَاحًا لِي لِأُخَوِّفَ بِهَا أَعْدَائِي وَأَزْجُرَ بِهَا مَنْ
يَتَعَرَّضُ لِي أَوْ يُؤْذِنِي وَجَعَلَ رَقَبَتِي دَقِيقَةً لِيَسْهُلَ بِهَا تَحْرِيكِ
رَأْسِي يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَجَعَلَ رَأْسِي مُدَوَّرًا عَرِضًا وَفِي جَنْبَيْهِ
عَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ كَأَنَّهُمَا مِرَاثَانِ مَجْلُوثَانِ وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي
لِإِذْرَاكِ الْمَرْتَبَاتِ وَالْمُبَصَّرَاتِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ
فِي الْأَنْوَارِ وَالظُّلُمَاتِ

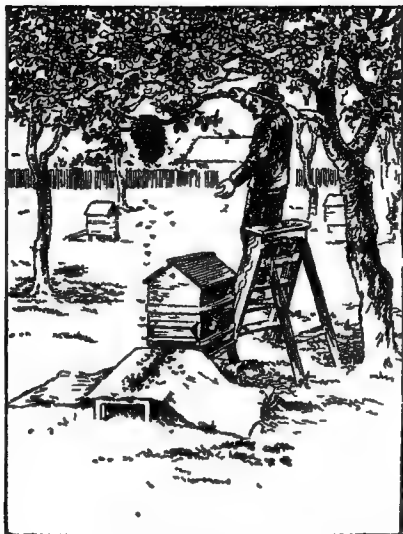
وَأَنْبَتَ عَلَى رَأْسِي شِبْهَ قَرْنَيْنِ لَطِيفَيْنِ لِيَنْتِفِ
وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي لِأَحْسِ بِهِمَا الْمَلْمُوسَاتِ فَأُمِيزَ اللَّيُونَةَ مِنَ
الْخُشُونَةِ وَالصَّلَابَةَ مِنَ الرِّخَاوَةِ وَالرُّطُوبَةَ مِنَ الْيَبُوسَةِ
وَفَتَحَ لِي مَنَخَرَيْنِ أَتَنَسَّمُ بِهِمَا الرُّوَاحِ الطَّيِّبَاتِ

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٦ - يَعْشُبُ النَّحْلُ (٢) ﴾

مِشْفَرٌ	ضُرُوعٌ	سَاتِعٌ	الدَّحَالُ
يَسْتَأْزِرُ	الْمُضْطَرُّ	وَهْبٌ	الدُّفُوفُ
الْدِّينُ			

وَجَعَلَ لِي فَمَا مَفْتُوحًا فِيهِ قُوَّةٌ ذَاتِقَةٌ أَنْتَرَفُ بِهَا
 الطُّعُومَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ الْمَأْكُولَاتِ
 وَالْمَشْرُوبَاتِ وَجَعَلَ لِي مِشْفَرِينَ حَادِبِينَ أَجْمَعُ بِهِمَا مَنْ ثَمَرِ
 الْأَشْجَارِ وَمِنْ وَرَقِ النَّبَاتِ وَالْأَزْهَارِ وَأَنْوَارِ الْأَشْجَارِ
 رُطُوبَاتٍ لَطِيفَةٍ وَجَعَلَ فِي جَوْفِنَا قُوَّةً جاذِبَةً وَمَاسِكَةً
 وَهَاضِمَةً طَاجِحَةً وَمُنْضِجَةً تُصَيِّرُ تِلْكَ الرُّطُوبَاتِ عَسَلًا
 حُلُوهًا لَذِيذًا شَرَابًا صَافِيًا غِذَاءً لِي وَلِأَوْلَادِي وَذُخْرًا وَعَوْنًا
 لِسِتْوَتِنَا كَمَا جَعَلَ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ قُوَّةً هَاضِمَةً تُصَيِّرُ
 الدَّمَ لَبَنًا خَالِصًا سَاتِعًا لِلشَّارِبِينَ



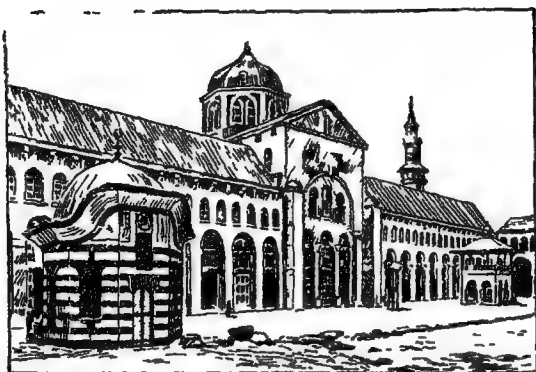
وَلِي جُنُودٌ وَأَعْوَانٌ وَرَعِيَّةٌ آوَى بِهِمْ فِي رُحُوسِ
 الْجِبَالِ وَالْتِلَالِ وَبَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْدِّحَالِ وَمِنَ مَنْ يُجَاوِرُ
 بَنِي آدَمَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدِيَارِهِمْ فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ مِنَّا عَنْهُمْ فَسَلِمَ
 عَلَى الْأَمْرِ الْأَكْثَرِ وَلَكِنْ زَبْمًا يَحِثُّونَ إِلَيْنَا فِي طَلَبِنَا
 وَيَتَعَرَّضُونَ لَنَا بِالْأَذِيَّةِ فَإِذَا ظَفَرُوا بِنَا خَرَبُوا مَنَازِلَنَا
 وَهَدَمُوا بُيُوتَنَا وَلَمْ يَكْلُوا أُنْثَى بَقْتُلُوا أَوْلَادَنَا وَيَأْخُذُوا

مَكَاسِبَنَا وَذَخَائِرَنَا وَتَقَاسُمُهَا وَيَسْتَأْزِمُهَا دُونَنَا
وَنَحْنُ نَصْبِرُ صَبْرَ الْمُضْطَرِّ تَارَةً كَرَهَا وَتَارَةً رَهْبًا
وَتَسْلِيًا إِنْ عَصَيْنَا وَهَرَبْنَا وَتَبَاعَدْنَا جَاءَ وَاخْلَفْنَا يَطْلُبُونَ
الصَّاحِ وَيُرْضُونَنَا بِالْهَدَايَا مِنَ الْمَطْرِ وَبِالْوَانِ مِنَ الْحِلِّ
مِنْ أَصْوَاتِ الطُّبُولِ وَالْدُّفُوفِ وَالزُّمُورِ وَالْهَدَايَا
الْمُزَخَّرَةِ مِنَ الدِّنَسِ وَالنَّعْرِ فَنُصَاحِلُهُمْ لِمَا فِي طِبَاعِنَا
مِنَ الْخَيْرِ وَمَا فِي صُدُورِنَا مِنَ السَّلَامَةِ وَقِلَّةِ الْحَقْدِ
وَالْحَمِيَّةِ

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٧ ﴾ الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ بِدِمَشْقَ (١) *

إِحْتِفَالٌ	الْفُسَيْفِسَاءُ	ذَرَعٌ	شَمَسَاتٌ
سَارِيَةٌ	مُحَارِبٌ	الْمَشَايَا	مُرْصَعٌ
جَمِيَّةٌ	يَمِجُّ		



الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ هُوَ أَعْظَمُ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا أَحْتِفَالًا
وَأَتْقَنَهَا صِنَاعَةً وَأَبْدَعَهَا حُسْنًا وَبَهْجَةً وَكَمَالًا وَلَا يُعْلَمُ لَهُ
نَظِيرٌ وَلَا يُوجَدُ لَهُ شَبِيهُ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى بِنَاؤَهُ وَإِهْنَاءَهُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَوَجَّهَ
إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بِالسُّطُنْطِينِيَّةِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ
الصَّنَاعَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ صَانِعٍ وَكَانَ مَوْضِعُ
الْمَسْجِدِ كَنِيسَةً قَدِيمَةً لِلرُّومِ وَقَدْ زُيِّنَ هَذَا الْمَسْجِدُ
بِفُضُوصِ الذَّهَبِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْفُسَيْفِسَاءِ مُخَالِطًا أَنْوَاعَ

الْأَصْبَنَةَ الْغَرِيبَةَ الْحُسْنِ وَذَرَعُ الْمَسْجِدِ فِي الطُّولِ مِنْ
الْشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ مِائَتًا خُطْوَةً وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ
وَعَرْضُهُ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجُوفِ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثُونَ خُطْوَةً
وَهِيَ مِائَتَا ذِرَاعٍ وَعَدَدُ شَمَسَاتِ الزُّجَاجِ الْمَلَوْنَةِ الَّتِي فِيهِ
أَرْبَعٌ وَسَبْعُونَ وَبَلَاطَاتُهُ ثَلَاثُ مِئَةِ مُسْتَطِيلَةٍ مِنْ شَرْقٍ إِلَى
غَرْبٍ سَعَةً كُلِّ بَلَاطَةٍ مِنْهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ خُطْوَةً وَقَدْ قَامَتْ
عَلَى أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً وَثَمَانِي أَرْجُلٍ جِصِّيَّةٍ تَتَخَلَّلُهَا
وَسِتُّ أَرْجُلٍ مَرْخَمَةٍ مَرْصَعَةٍ بِالرُّخَامِ الْمَلَوْنِ قَدْ صُوِّرَ
فِيهَا أَشْكَالُ مُحَارِبٍ وَسِوَاهَا وَهِيَ قُبَّةُ الرُّصَاصِ
الَّتِي أَمَامَ الْحَرَابِ الْمُسَمَّاةِ بِقُبَّةِ النَّسْرِ وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ
مَبَانِي الدُّنْيَا وَسَعَةُ الصَّخْنِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ
الْمَنَاطِرِ وَأَتَمِّهَا صُنْعًا وَبِهِ يَجْتَمِعُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالنِّسَاءِ
فَمِنْ قَارِيٍّ وَمُحَدِّثٍ وَذَاهِبٍ وَيَكُونُ أَنْصِرَافُهُمْ بَعْدَ
النِّسَاءِ وَفِي هَذَا الصَّخْنِ ثَلَاثٌ مِنْ أَلْقِيَابِ أَكْبَرِهَا فِي

غَرِبِهِ وَتُسَمَّى قُبَّةَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْقُبَّةُ الثَّانِيَةُ
فِي الشَّرْقِ وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْهَا وَتُسَمَّى قُبَّةَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ
وَالثَّلَاثَةُ فِي الْوَسْطِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ مُتَمَنَّةٌ مِنْ رُخَامٍ عَجِيبٍ
مُحْكَمٍ الْإِلْتِصَاقِ وَتَحْتَهَا شِبَالُ حَدِيدٍ فِي وَسْطِهِ أَنْبُوبٌ
تُحَاسِي بِمَجْعِ الْمَاءِ إِلَى عَلْوٍ فَيَرْتَفِعُ ثُمَّ يَنْشِي كَأَنَّهُ
قَضِيبٌ لَجِينٍ وَهُمْ يُسَمُّونَهُ قَفْصَ الْمَاءِ وَيَسْتَحْسِنُ النَّاسُ
وَضَعُ أَفْوَاهِهِمْ فِيهِ لِلشَّرْبِ

(ابن بطوطة)

* ١٨ - أَجْلَامِيعُ الْأَمْوِي بِدِمَشْقَ (٢) *

يُقَضَّى	الْمَقْصُورَةُ	صَوَامِعُ	صِهْرِيحُ
تَابُوتٌ	مُعَلَّمٌ	إِثْرٌ	

هَذَا الْمَسْجِدُ شَهِيرُ الْفَضْلِ وَيُقَالُ إِنَّ الْجِدَارَ الْقِبْلِيَّ
مِنْهُ وَضَعَهُ نَبِيُّ اللَّهِ هُوْدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنَّ قَبْرَهُ بِهِ
وَيُرَى بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْأَحْقَافُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ « هَذَا قَبْرُ

هُودُ بْنُ عَامِرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ
 مِنَ الصُّحُنِّ بَابٌ يُفْضَى إِلَى الْمَسْجِدِ بِدِيعِ الْوَصْعِ يُسَمَّى
 مَشْهَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَقَالُ لَهُ مِنَ الْجِهَةِ
 الْغَرْبِيَّةِ حَيْثُ يَلْتَقِي الْبَلَاطَانُ الْغَرْبِيُّ وَالْجَنُوبِيُّ مَوْضِعٌ يُقَالُ
 إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَمِعَتْ الْحَدِيثَ هُنَاكَ وَفِي قِبْلَةِ
 الْمَسْجِدِ الْمَقْصُورَةِ الْمُطْمَى الَّتِي يَوْمٌ فِيهَا إِمَامُ السَّافِيعَةِ
 وَفِي الرُّكْنِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا إِزَاءَ الْمِحْرَابِ خِرَازَنَةٌ كَبِيرَةٌ
 فِيهَا الْمُصْحَفُ الْكَرِيمُ الَّذِي وَجَّهَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ وَتُفْتَحُ تِلْكَ
 الْخِرَازَنَةُ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَيَرْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى
 لَحْمٍ ذَلِكَ الْمُصْحَفُ الْكَرِيمُ وَهُنَاكَ يُحْلِفُ النَّاسُ
 غُرْمَاءَهُمْ وَمَنْ أَدْعَا عَلَيْهِ شَيْئًا وَعَنْ يَسَارِ الْمَقْصُورَةِ
 مِحْرَابُ الصَّحَابَةِ وَيَذْكُرُ أَهْلُ النَّارِخِ أَنَّهُ أَوَّلُ مِحْرَابٍ
 وَضِعَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَنْ يَمِينِ الْمَقْصُورَةِ مِحْرَابُ الْخَنْفِيَّةِ

وَبَيْلِهِ مِحْرَابُ الْحَنَابِلَةِ

وَلِهَذَا الْمَسْجِدِ ثَلَاثُ صَوَامِعَ اثْنَتَانِ مِنْهَا مِنْ بِنَاءِ
الرُّومِ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بِنَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي شَرْقِ الْمَسْجِدِ
مَقْصُورَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا صَهْرِيحُ مَاءٍ وَفِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ
قَبْرُ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ تَابُوتٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ
أُسْطُوَاتَيْنِ مَكْسُوتِيْ شَوْبٍ حَرِيرٍ أَسْوَدَ مُعَلِّمٍ مَكْتُوبٍ
فِيهِ بِالْأَيْضِ (يَا زَكْرِيَّا إِنَّا بَشَرْنَاكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَى)
وَفِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ بَابُ قِبْلِيٍّ يُعْرَفُ بِبَابِ
الزِّيَارَةِ وَبِأَعْلَاهُ قِطْعَةٌ مِنَ الرَّمْحِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ
رَايَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَابٌ شَرْقِيٌّ وَهُوَ أَكْثَرُ أَبْوَابِ
الْمَسْجِدِ وَيُسَمَّى بَابَ حَيْرُونَ وَفِي جِهَةِ الْيَسَارِ مِنْهُ
مَشْهُدٌ عَظِيمٌ كَانَ فِيهِ رَأْسُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَالْبَابُ الْقَرْبِيُّ يُعْرَفُ بِبَابِ الْبَرِيدِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ
أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ أَلْأَرْبَعَةِ دَارٌ وَضَوْءٌ يَكُونُ فِيهَا

نَحْوُ مِائَةِ يَنْتِ تَجْرِي فِيهَا الْمِيَاهُ الْكَثِيرَةُ
وَمِنْ فَسَائِلِ هَذَا الْمَسْجِدِ أَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ قِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الزَّمَانِ وَالنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ
بِهِ كُلَّ يَوْمٍ إِثْرَ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَيَقْرَأُونَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ
وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَصْرِ لِقِرَاءَةِ الْكَوْثَرِيَّةِ يَقْرَأُونَ فِيهَا مِنْ
سُورَةِ الْكَوْثَرِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ وَلِلْمُجْتَمِعِينَ عَلَى هَذِهِ
الْقِرَاءَةِ مَرْبَاتٌ تَجْرِي لَهُمْ وَهُمْ نَحْوُ سِتِّ مِائَةِ إِنْسَانٍ وَفِي
هَذَا الْمَسْجِدِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَجَاوِرِينَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ
وَأَهْلُ الْبَلَدِ يُعِينُونَهُمْ بِالْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَسْأَلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ

(ابن بطوطة)

* ١٩ - سَيِّدُنَا نُوحٌ *

تَبَيَّنَ لِلنُّورِ يَعْصِمُ غِيْمُضُ
الْجُودِي

• وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا
 مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعْ الْفُلْكَ
 بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ
 وَاصْنَعْ الْفُلْكَ وَكَلِّمْ مَرَّةً عَلَيْهِ مَلَائِكَةً مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
 قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ
 عَذَابٌ مُقِيمٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
 الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ
 فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ
 تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي
 مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرَأَيْتَ مَا مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ
 قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
 لَلْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ يَنْهَمَا الْمَوْجُ

فَكَانَ مِنَ الْمُرْقِقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ
 أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
 وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
 ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ
 قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا
 تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أُوذِيَكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي
 بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ قِيلَ
 يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
 مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ تِلْكَ مِنْ
 أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
 مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢٠ — الْكَهْرُبَاةُ ﴾

الْعَرَكُ كِمْنَاوِيَّةُ اجْتِنَاوُ النَّائِيَّةُ
غِيَارُ بَرَزَخُ الْجَارِفُ الْعَقَبَاتُ
الْمَطَاطُ

مِنْ جُحْلَةِ الْقُوَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي اسْتُخْدِمَهَا الْإِنْسَانُ
فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِ وَمَارَبِهِ رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الْخَفِيَّةِ وَسِرٌّ
مِنْ أَسْرَارِ الْبَارِئِ الْمُبْدِعِ لَا هِيَ بِالْجَنَمِ فَتَحَصَّ وَلَا
بِالرَّيْحِ فَتَشَمَّ بَلْ هِيَ كَالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا يَظْهَرُ
مِنْهَا إِلَّا أَثَرُهَا وَمَا تَأْتِيهِ مِنْ جَلَائِلِ الْأَعْمَالِ وَيَزُومُونَ
أَنَّهَا فِي كُلِّ كَائِنٍ وَتَظْهَرُ فِيهِ بِالْإِحْسَاكِ وَالْعَرَكِ
وَبِوَسَائِطٍ أُخْرَى كِمْنَاوِيَّةٍ غَيْرِ آلِيَّةٍ وَتَسِيلُ وَتَجْرِي جَرِيًّا
سَرِيعًا فِي بَعْضِ الْأَجْسَامِ وَبَطِيئًا فِي غَيْرِهَا وَمِنْ الْأَجْسَامِ
مَا يَصُدُّهَا وَيُوقِفُهَا فَلَا تَتَعَدَّاهُ

بِذَلِكَ الْقُوَّةُ هِيَ الْكَهْرُبَاةُ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ فِي سَائِرِ

الْأَعْمَالِ كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا عَظِيمَهَا وَحَقِيرَهَا وَتَفَرَّدَتْ
عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقُوَى بِاجْتِيَازِ الْأَبْعَادِ النَّائِيَةِ وَشَقِّ
غِمَارِ الْبِحَارِ حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَ بِهَا الْإِنْسَانُ قَادِرًا عَلَى أَنْ
يُحَادِثَ صَدِيقَهُ بِالتَّلْفُونِ وَيُنْهَمَا بِرِزْخِ بَعِيدِ الْمَدَى وَأَنْ
يُكَاتِبَهُ بِالتَّلِغْرَافِ فِي لَحْظَةِ مِصْدَاقِ الْقَوْلِ الْعَامَّةِ
« غَمِضْ عَيْنَكَ وَافْتَحْهَا تَرَى الْأَمْرَ قَدْ وَقَعَ »

وَالْكَهْرُبَاءُ صِنْفَانِ لَا يَكَادُ يُؤَرَّرُ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا
عَلَى أَفْرَادِهِ وَمَتَى اجْتَمَعَا بِالْمُلَامَسَةِ لَمْ يَقُوشِيْهُ عَلَى
صَدِّ تَيَّارِهِمَا الْجَارِفِ بَلِ اجْتَاَزَا كُلُّ مَا يَفْتَرِيهِمَا مِنْ
الْعُقَبَاتِ طَوْعَ أَمْرِ الْمَدَبِّرِ لَهُمَا

وَلَمَّا أُدْرِكَ النَّاسُ مِنْ صَنْفِي الْكَهْرُبَاءِ شِدَّةَ
مَيْلِهِمَا إِلَى التَّوَاصُلِ وَالْاجْتِمَاعِ صَنَعُوا الدُّدَّ وَالْآلَاتِ
بِحَيْثُ يُجْمَعُ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ مَتَى طَلِبَ الْعَمَلُ وَيُفْرَقُ
بَيْنَهُمَا مَتَى طَلِبَ الْوُقُوفُ فَيُسَيَّرَانِ فِي سُلُوكَيْنِ دَقِيقَيْنِ

مُجْتَمِعِينَ فِي السَّيِّئَةِ مُفْتَرِقِينَ فِي الْمَبْدِئِ الَّذِي قَدْ
رُكِبَ عَلَيْهِ زُرٌّ إِذَا حُرِّكَ جَمْعُ بَيْنَ السَّالِكِينَ وَأَثَرَتْ
الْكَهْرْبَاءُ تَأْثِيرَهَا الْمَطْلُوبَ وَإِذَا أُعِيدَ فَرَقَ بَيْنَهُمَا
فَأَقْطَعَ الْعَمَلُ وَتَغَلَّفَ الْأَسْلَافُ وَالْعُدْدُ الَّتِي تَمُرُّ فِيهَا
الْكَهْرْبَاءُ بِغُلْفٍ مِنَ الْخَرِيرِ أَوْ الْمَطَاطِ لِكَيْلَا تُؤْذِيَ
النَّاسَ إِذَا مَسُّوْهَا

﴿ ٢١ — الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ ﴾

رُؤَاةُ الْمَزَايِلِ مَقُوضَةٌ الْمُنَاحَةُ



كَانَتِ الْمَدِينَةُ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لِلهَجْرَةِ فِي غَايَةِ
الرُّقَى بِسَاتِنِهَا تَمَلُّ الْفَضَاءِ الْمُحِيطَ بِهَا وَكَانَ لِلْقَوْمِ بِهَا
رِيَاضٌ زَاهِرَةٌ وَقُصُورٌ بَاهِرَةٌ فِي وَادِي الْعَتِيقِ الَّذِي كَانَ
يَفُورُ مَآوُهُ وَيَهْرُرُ وَاوُهُ وَتَزْهُو أَرْجَاؤُهُ وَيَكْتُرُ زَهْرُهُ
وَيَفُوحُ عِطْرُهُ وَيُجْنَى ثَمَرُهُ وَأَسْوَاقُهَا مَشْحُونَةٌ بِالْمَتَاجِرِ
الْوَارِدَةِ إِلَيْهَا مِنَ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالشَّامِ وَبِلَادِ الْعَجَمِ
مِنْ ثِيَابِ الْقُطْنِ وَالْخَرِيرِ وَالصُّوفِ وَالْبُسْطِ
وَتِجَارَةُ التَّمْرِ فِيهَا أَكْبَرُ التِّجَارَاتِ وَأَوْسَعُهَا لِأَنَّ
أَرْبَاضَهَا فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَزَارِعِ وَالْبَسَاتِينِ وَتُخِيلُهَا تَتَبَّحُ
نَحْوَ سَبْعِينَ صِنْفًا مِنَ التَّمْرِ يَتَنَازُ بَيْنَهَا الْعَنْبَرِيُّ بِشِدَّةِ
حَلَاوَتِهِ وَكَانَتِ أَعْيُنُ الْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ الْقَرْنِ الثَّانِي
الْهَجْرِيِّ مَحْصُورَةً فِي سُورِ بَنَاهُ حَوْلَهَا الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ
وَزَيْرُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ فِي مُتَنَصِّفِ الْقَرْنِ السَّادِسِ وَهُوَ
بَاقٍ إِلَى الْآنَ وَعَلَى مُحِيطِهِ الْمَزَاغِلُ وَالْأَبْرَاجُ الْمَشْحُونَةُ

بِالْمَدَافِعِ وَالذَّخَائِرِ الْخَزَائِيَّةِ لِمَدِّ هَجَمَاتِ الْأَعْرَابِ
الَّذِينَ كَثِيرًا مَا كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ يَمْتَدُّونَ عَلَى حَرَمِ
رَسُولِ اللَّهِ وَخَارِجِ هَذَا السُّورِ سُورٌ آخِرُ دَرَسَتِ مَعَالِمُهُ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جُذُرٌ مُقَوَّصَةٌ مُهْدَمَةٌ وَيَنْزِلُ رَكْبُ
الْمَحْمَلِ الْمَضْرِي بَيْنَ السُّورَيْنِ فِي فِضَاءٍ أَسْفَلَ الْمَنَاحَةِ
وَفِي الْمَدِينَةِ وَأَرْبَابُهَا أَمَا كُنْ أَتْرِيَّةً أَلْبَسَهَا
ذِكْرِي مَجْدَهَا الْغَايِرِ شَرَفًا وَجَلَالًا وَهَيْئَةً تَكَادُ تَنْزَعُ
عَنِ النَّظِيرِ وَأَشْهَرُهَا مَسْجِدُ قُبَا وَيَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ
بِمَسَافَةِ خَمْسَةِ كِيلُومِثْرَاتٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدِ بَنِي فِي
الْإِسْلَامِ بَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ
مَوَاقِدِ إِلَيْهَا فِي هِجْرَتِهِ

وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَشْرَبُونَ مِنَ الْآبَارِ وَالْمَاءِ يَجْرِي
إِلَيْهَا مِنَ الْعَيْنِ الزَّرْقَاءِ فِي أَنْيَابٍ تَتَفَرَّعُ وَتَتَشَبَّعُ فِي
أَنْحَاءِ الْبَلَدِ

وَمُنَاخُهَا مُعْتَدِلٌ وَهَوَاؤُهَا طَيِّبٌ وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ
 مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى رِقَّةِ أَهْلِهَا وَلَطَافَةِ
 أُمُورِ جَنَّتِهِمْ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْأَدَبِ
 وَحُسْنِ الْمَعَاشَرَةِ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُمْ أَحْسَنُ أَهْلِ بِلَادِ الْعَرَبِ
 فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَلَا عَجَبَ فَمَجَّاءَ رُثُومِهِمُ لِلسَّيِّدِ الرَّسُولِ
 أَكْسَبَتْهُمْ كَثِيرًا مِنْ أَخْلَاقِهِ الْكَامِلَةِ عَلَى أَنْ مَنْ
 يُفَكِّرُ فِي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اخْتَصَمَهُمْ بِالْهَجْرَةِ
 إِلَى بَلَدِهِمْ يَحْكُمُ بِأَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فِيهِمْ مِنْ زَمَنِ
 بَعِيدٍ وَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَعْلَنَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ أَنَّهُ لَا يُوَدُّ الْمَوْتَ
 إِلَّا بَيْنَ أَظْهَرِ الْأَنْصَارِ وَهَوَّلَاءِ أَعْقَابِهِمُ الْيَوْمَ عَلَى
 سُنَّتِهِمْ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

(مقتبس من الرحلة الحجازية)

﴿ ٢٢ - الْحَاسَةُ ﴾

الْقِنَاعُ اللِّقَاعُ الْمَصَانِعُ الدُّوَابِلُ

الْمُهِنْجَاءُ حُصَامُ

إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ الْقِنَاعَا

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرَفُ الدَّهْرِ بَاعَا

فَلَا تَخْشَ الْمَنِيَّةَ وَاتَّحِمْهَا

وَدَافِعِ مَا اسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا

وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرِ

وَلَا تَبِكِ الْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا

وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُرْنَا

وَيَهْنِكَنَّ الْبَرَاقِعَ وَاللِّقَاعَا

يَقُولُ لَكَ الطَّبِيبُ دَوَاكَ عِنْدِي

إِذَا مَا جَسَّ كَفَّكَ وَالذَّرَاعَا

وَلَوْ عَرَفَ الطَّبِيبُ دَوَاءَ دَاءِهِ
 يَرُدُّ الْمَوْتَ مَاكَسَى الزَّرَاعَا
 وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا
 لَكَ بِفِعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
 أَقَمْنَا بِالذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ
 وَصَيَّرْنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا
 حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَابَا
 تَخَاضَ غِمَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا
 وَسَيَّنِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَبِيبَا
 يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصَّدَاعَا
 أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خُيِّرْتُ عَنْهُ
 وَقَدْ عَايَنْتَنِي فَدَعِ السَّمَاعَا
 وَلَوْ أُرْسِلْتُ رُمْحِي مَعَ جَبَانٍ
 لَكَانَ بِهَيْئَتِي يَلْقَى السِّبَاعَا

مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
وَحَصْنِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا اتِّسَاعًا
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
تَرَى الْأَفْطَارَ بَاعًا أَوْ ذِرَاعًا

(ديوان عنتره بن شداد)

﴿ ٢٣ - النَّشَا ﴾

بَنِيْقَةٌ رُذْنٌ الرِّيطَةُ السَّخِيْفَةُ
إِنِّهَامٌ سَبَابَةٌ جُمَارٌ

هَلْ دَارَ بِخَلْدِكَ يَوْمًا أَنْ تَسْأَلَ عَنِ أُنْثَى الْمَادَّةِ
الَّتِي بِهَا تُكْوَى بَنِيْقَةٌ فَمِصْكٌ وَرُذْنَاهُ وَمِنْ أَيْنَ
وَكَيْفَ تُسْتَخْرَجُ هَذِهِ الْمَادَّةُ هِيَ النَّشَا وَتُسْتَخْرَجُ
مِنْ أَصْنَافٍ عِدَّةٍ مِنَ النَّبَاتِ وَتُوجَدُ فِي جَمِيعِهَا لِأَنَّهَا
هِيَ الْمَادَّةُ الَّتِي يَخْزِنُهَا النَّبَاتُ لِيَتَغَذَّى بِهَا



فَإِذَا أَخَذْتَ قَلِيلًا مِنْ دَقِيقِ الْأَرْزِ أَوْ الْبُرِّ أَوْ
الشَّعِيرِ وَوَضَعْتَهُ فِي شِقَّةٍ مِنَ الرِّيْطَةِ السَّخِيفَةِ وَفَرَكَتَهَا
بَيْنَ إِبْهَامِكَ وَسَبَّابَتِكَ فِي مَاءٍ أَبْيَضَ الْمَاءِ وَصَارَ لَوْنُهُ
كَاللَّبَنِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّشَاءَ يَنْفَصِلُ مِنَ الدَّقِيقِ
وَيَنْتَشِرُ فِي الْمَاءِ فَإِذَا تَرَكَ الْإِنَاءَ وَتَقَسَّه زَمَانًا رَسَبَ

النَّشَا فِي قَمَرِهِ فَإِذَا أَخَذَتْ شَيْئًا قَلِيلًا مِنْهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ
بِمَنْظَارِ التَّكْبِيرِ وَجَدَتْهُ مُكَوَّنًا مِنْ ذَرَّاتٍ صَغِيرَةٍ جِدًّا
لَا تُرَى بِالنَّظَرِ الْمَجْرَدِ وَوَجَدَتْ أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْهُ عِبَارَةٌ
عَنْ كَيْسٍ صَغِيرٍ يَنْتَفِخُ وَيَنْفَجِرُ إِذَا صُبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ
الْمُغْلَى وَلِذَلِكَ يَقَالُ إِنَّ الْمَاءَ الْمُغْلَى يُذِيبُ النَّشَا كَمَا
يُذِيبُ الشُّكْرَ وَتَرَاهُ صَافِيًا مِنْ غَيْرٍ أَنْ يَكُونَ لِلنَّشَا
أَثَرٌ ظَاهِرٌ وَأَمَّا الْمَاءُ الْبَارِدُ فَلَا يُذِيبُهُ وَإِنَّمَا يَفْصِلُ ذَرَّاتِهِ
بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ وَيَبْقَى أَيْضًا كَاللَّبَنِ وَإِذَا سَكَنَ
رَأَيْتَ النَّشَا فِي قَمَرِ الْإِنَاءِ

وَيُسْتَخْرَجُ النَّشَا بِكَثْرَةٍ مِنْ جُمَارٍ ضَرِبٍ مِنَ
النَّخْلِ يَنْبُتُ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ وَهَذَا النَّخْلُ إِذَا تَمَّ نَمَاؤُهُ
شَقَّ وَأَخَذَ مِنْهُ الْجُمَارُ فَيُسْحَقُ وَيُغْسَلُ بِالْمَاءِ وَيُعَصَّرُ
فِيهِ فَإِذَا سَكَنَ الْمَاءُ رَسَبَ النَّشَا فِي قَمَرِ الْإِنَاءِ فَيُؤْخَذُ
وَيُجَفَّفُ قَلِيلًا ثُمَّ يُمَرَّرُ مِنْ مَنَاخِلَ ذَاتِ عِيُونٍ مُسْتَدِيرَةٍ

فَيَصِيرُ كَمَا رَأَاهُ

وَيُسْتَخْرَجُ كَذَلِكَ مِنَ الْبَطَاطِيسِ وَمِنْ أَغْصَانِ
بَعْضِ صُتُوفِ الْخَلَّةِ وَجُذُورِهَا وَيُصْنَعُ بِهَا مَا يُصْنَعُ
بِالْجُمَارِ وَيُجَفَّفُ بِنَشْرِهِ عَلَى صُحُونٍ مُخْتَلَةٍ وَبِتَحْرِيكِهِ
بِمِحْرَاكِ حَدِيدِيٍّ

﴿ ٢٤ - كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (١) ﴾

حُدُودُ	الْحَقْنُ	مِرْبُ	رِيَاضَةُ
حَيَاةُ	تَقْرِيطُ	أَجَلُ	النَّيْمَةُ
الْجَرَادَةُ	شَرَّةُ		

مُخْتَارٌ مِنْ وَصِيَّةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وَلَّاهُ الْمَأْمُونُ الرُّقَّةَ وَمَضَرَ وَمَا يَنْتَهَمَا
مَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ
الرُّأْفَةَ عَلَيْكَ بِمَنْ أَسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَالزَّمَكَ

الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالذَّفْعَ عَنْ حَرَمِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِذِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسِرِّيهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا وَلَا أَخْصَّ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَلَا تَهْمَنَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تَوَلَّيَهُ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التَّهْمِ بِالْبُرْءَاءِ وَالظُّنُوفِ السَّيِّئَةِ بِهِمْ إِثْمٌ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَأَطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَرْفُضْهُ فِيهِمْ يُعْنِكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ وَرِيَاضَتِهِمْ وَلَا يَمْنَعُكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَالرَّأْفَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْمَسْأَلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَحِطَاةَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى

قَدَرِ مَنَازِلَهُمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ وَلَا تُعْطِلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَآوَنْ
 بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عَقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي قَرِيبِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا
 فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ الْخَيْرَ فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ
 وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْضِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ
 وَأَشْذُذْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ
 أَهْلَ النَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآجِلِهَا
 تَهْرِيبُ الْكَذُوبِ وَالْجَرَاءَةِ عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ
 الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ وَالزُّورَ وَالنَّمِيمَةَ خَائِمَتُهَا
 وَدَعِ عَنْكَ شَرَّهَ نَفْسِكَ وَلِتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ
 الَّتِي تَدَّخِرُ وَتَكْنِزُ الْبِرَّ وَالنَّمَى وَأَسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ
 وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمْ وَالتَّقْدُّلَ لِمَرْيَمِهِمُ وَالْإِعَانَةَ لِمَلَهُوْفِهِمُ

﴿ ٢٥ - كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ﴾ (٢)

نَمَالِي	فَاجِرٌ	تُدَاهِنُ	فَاسِقٌ
مُرَاه	مَرَحٌ	كُورَةٌ	أَمْضَى

تُرْكِي

لَا تَحْتَقِرَنَّ ذَنبًا وَلَا نَمَالِينَ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا
وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَامًا
وَلَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُؤَايِلَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًا وَلَا
تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا وَلَا تَحْفَرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا
وَلَا تُحْسِنَنَّ بَابِلًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْجِكًا وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا
وَلَا تُذْهِبَنَّ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا
وَلَا تُرْكِيَنَّ سَفِيهَا وَلَا تَرْفَعَنَّ لِلنَّامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضَنَّ عَنْ
ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَأَجْعَلِي فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ
عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ خَبَرَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
بِسِيرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ

مُمَا يَنَالُ أُمُورِهِ وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَاَنْظُرْ فِي
 عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ
 وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ
 وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ
 خُذْ فِيهِ عِدَّتَكَ فَإِنَّهُ رَبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدْ أَتَاهُ
 عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَتَقَضَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي
 كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرُهُ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ
 وَأَكْثِرْ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي أُمُورِكَ وَأَفْرُغْ مِنْ
 عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنْ
 لِنَدِ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُلْهِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخَّرْتَ
 وَأَعْلَمَ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَمُضِيَتْ
 لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ أَرَحْتَ بِدَنِكَ وَتَفَسَّكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ
 سُلْطَانِكَ

﴿ ٢٦ ﴾ - كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (٢)

بَلَا سَوِيَّةٌ مَظَاهِرَةٌ الْبُتَّاسَةُ

أَرَامِلُ أَرْزَاقُ سَرَفٌ مُوَأَمَرَةٌ

تَمَنُّنٌ الْحَزْمُ

وَأَنْظُرُ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ يَمِّنُ
بَلَوْتُ صَفَاءَ طَوَائِفِهِمْ وَشَهِدْتُ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمَظَاهِرَتَهُمْ
بِالنَّصِيحِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلَصْتَهُمْ وَأَحْسِنَ
إِلَيْهِمْ وَأَفْرَدْتُ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ وَالْمُحْتَقِرِ الَّذِي
لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ وَتَعَاهَدَ ذَوِي الْبُتَّاسَةِ وَيَتَكَاثَرُوا
وَأَرَامِلُهُمْ وَأَجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَأَنْصِبْ
لِلْمَرْضَى دُورًا تُؤْوِيهِمْ وَقُوَامًا يَرْفُقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ
يَعَالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفِهِمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَا لَمْ يُوَدِّ ذَلِكَ إِلَى
سَرَفٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ

وَأَعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ
 مِنْهَا وَلَا يَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقُ إِسْرَافًا وَلَيْسَ كُنْ أَكْرَمَ
 دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا لَمْ تَمْنَعَهُ
 هَيْبَتِكَ مِنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِتْرٍ وَإِعْلَامِكَ بِمَا فِيهِ
 مِنَ النِّقْصِ فَإِنْ أَوْلَتْكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَايِكَ وَمُظَاهِرِيكَ
 لَكَ وَأَنْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكِتَابِكَ
 فَوَقْتُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ
 بَيْتُهُ وَمُؤَامَرَتُهُ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ
 الدَّوْلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرَّغْ لِمَا يُورَدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ
 سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَكَرَّرِ النَّظَرَ فِيهِ
 وَالتَّدْبِيرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْنُهُ
 وَأَسْتَخِرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ
 فَأُصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ وَالتَّيَبُّتِ وَلَا تَمْنَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ
 وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفٍ تُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلَنَّ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَصْنَعَنَّ
الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ

﴿ ٢٧ - الْوَشَايَةُ ﴾

الْوَشَايَةُ أَتْرَاحُ يَتَنَاجَشُ يَتَدَابَرُ
يَهْجُو أَطْرَقَ هُنَيْهَةٌ أَفْصَى يَنْسَلُ
كَانَ يُوسُفُ وَسَيْفُ الدِّينِ رَفِيقَيْنِ قُلَّ أَنْ يَفْتَرِقَا إِلَّا
فِي وَفْتِ النَّوْمِ فَكَانَا يَتَعَاوَنَانِ فِي الْمُدَاسَّةِ وَيَتَرَافِقَانِ
فِي الْأَنْزَهَةِ وَيَتَشَارَكَانِ فِي أَفْرَاحِهَا وَأَتْرَاحِهَا وَبِالْجُمْلَةِ
كَانَا كَالْأَخَوَيْنِ لَا يَتَحَاسَدَانِ وَلَا يَتَنَاجَشَانِ وَلَا
يَتَبَاغَضَانِ وَلَا يَتَدَابَرَانِ وَكَانَ يَمِيلُ كُلُّهُمَا إِلَى
الْآخِرِ وَيَنْجَذِبُ إِلَيْهِ لِتَوَافُقِ فِي مَزَاجِيهِمَا فَسَاءَ ذَلِكَ
تَلْمِيزًا حَسُودًا كَانَ يَحْزَنُ لِرُؤْيَا النِّعْمَةِ عَلَى غَيْرِهِ وَيَفْرَحُ
لِمَا يَقَعُ بِهِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَفَكَرَّ أَنْ يَشَى لِأَضْعَفِيهِمَا
إِرَادَةً بِالْآخِرِ فَأَخْتَارَ يُوسُفَ وَأَثَرَدَ بِهِ مَرَّةً وَذَكَرَ

لَهُ مِنْ سَيِّئَاتِ سَيْفِ الدِّينِ مَا لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ مِنْ قَبْلُ
وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُوهُ لَهُ فَقَضِبَ يُوسُفُ وَحَدَّثَتْهُ
نَفْسُهُ أَنْ يَقْطَعَ أَخَاهُ وَلَكِنْ مَالَبَتْ أَنْ هَذَا وَالتَفَتَ
إِلَى ذَلِكَ الْوَاشِي وَقَالَ دَأْسَمَعِ يَا رَاهِمُ وَشَى وَاشِ بَعْدِ
اللَّهِ بْنِ هَمَامٍ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ هَجَاكَ فَقَالَ أَأَجْعُ
يَنِّكَ وَيَنِّهُ قَالَ نَعَمْ فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى ابْنِ هَمَامٍ فَأَتَى
بِهِ وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ يَتَنَا فَقَالَ زِيَادُ يَا ابْنَ هَمَامٍ بَلَّغْنِي أَنَّكَ
هَجَوْتَنِي فَقَالَ كَلَّا أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَا فَعَلْتُ وَلَا أَنْتَ لِذَلِكَ
بِأَهْلٍ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَخْبَرَنِي وَأَخْرَجَ الرَّجُلُ
فَأَطْرَقَ ابْنُ هَمَامٍ هَنِيئَةً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ
أَنْتَ أَمْرُوهُ إِمَّا أَتَمَعْتُكَ خَالِيَا

مُخَفَّتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ

فَأَبَتْ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ يَتَنَا

بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْحَيَاةِ وَالْإِنِّمِ

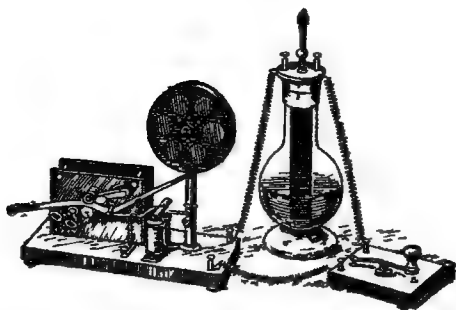
فَأَعْجَبَ زِيَادٌ بِجَوَابِهِ وَأَفْعَى الْوَاشِي وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فَمَا

رَأَيْكَ فِي أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَيْفِ الدِّينِ ، فَأَعْتَدَرَ
 لَهُ وَمَا كَادَ يَنْتَهِي مِنَ الْإِعْتِدَارِ حَتَّى قَدَّمَ سَيْفُ الدِّينِ
 فَأَخَذَ الْوَاهِي يَنْسَلُّ فَسَمِعَهُ يُوسِفُ عَنِ الْخُرُوجِ وَقَصَّ
 عَلَى سَيْفِ الدِّينِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فَخَجَلَ الْوَاهِي وَتَغَيَّرَ
 لَوْنُهُ وَسَكَتَ فَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ « قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ (لَا تَحَسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا
 وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ
 إِخْوَانًا) » وَلَمَّا ذَلِكَ شَكَرَ سَيْفُ الدِّينِ يُوسِفَ عَلَى
 مُلُوكِهِ الَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي قَطْعِ الْوِشَايَةِ بَيْنَهُمَا

﴿ ٢٨ - التِّلْغَرَفُ ﴾

مِضْمَارٌ	تَلَمَّسَ	تُمَهَّدُ	مَقْبِضٌ
الْفَوْلَادُ	لَوَّبُ	يَقْرَعُ	

إِنَّ رُقَى الْخُضَارَةِ وَتَقَدَّمَ الصَّنَاعَةِ وَالْأَعْمَالِ
 وَالتَّرَاحِمِ عَلَى مَوَاقِفِ الْمَعِيشَةِ بَعَثَتْ فِي قُلُوبِ النَّاسِ
 شَقًّا بِالسَّارِعَةِ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ حَتَّى يَبْلُغَ السَّابِقُ



غَايَتُهُ فِي مِضْمَارِ الْحَيَاةِ فَتَلَمَّسُوا كُلَّ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُمَهِّدُ لَهُمْ
سَبِيلَهُمْ هَذَا وَقَامَ الْعُلَمَاءُ وَالْكَشَّافُونَ وَالْخُتَرِعُونَ
يُجَرِّبُونَ وَيَبْحَثُونَ وَيُؤَلِّفُونَ حَتَّى أَهْتَدَى مُورِسُ سَنَةِ
١٨٣٦ إِلَى اخْتِرَاعِ آلَةِ التَّلِغْرَافِ وَاسْتِخْدَامِهَا فِي
الرَّسَائِلِ

وَصَلَ هَذَا الْخُتَرِعُ بَيْنَ مَكَائِنَ بِسِلْكَيْنِ يَحْمِلُ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صِنْفًا مِنْ صِنْفَيْ الْكَهْرُبَاءِ وَجَعَلَ فِي
أَحَدِ الْمَكَائِنِ آلَةَ شَبْكٍ بِهَا السِّلْكَيْنِ وَهُمَا
مُفَرَّقَانِ وَاتَّخَذَ لَهَا مَقْبِضًا كُلَّمَا انْخَفَضَ نُزِلَ عَلَى

الْقَاعِدَةِ فَاجْتَمَعَ السِّلْكَانِ وَجَرَى تِيَارُ الْكَهْرِبَاءِ ثُمَّ
جَعَلَ فِي الْمَسْكَانِ الثَّانِي آلَةً أُخْرَى لَهَا لَفِيفَتَانِ مِنْ
الْأَسْلَاقِ قَدُمْتُ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهَا حَدِيدَةٌ مُمْلَقٌ فَوْقَهَا
مِسْمَارٌ مُتَّصِلٌ بِلَوَلَبٍ يَشُدُّهُ إِلَى أَعْلَى وَمَتَّى أُنْصَلَ
السِّلْكَانِ بِمَحْفُضٍ مَقْبِضِ الآلَةِ الْأُولَى جَذَبَتْ الْحَدِيدَةُ
ذَلِكَ الْمِسْمَارَ فَوْقَهَا فَيَقْرَعُهَا وَيُلَاصِقُهَا إِلَى أَنْ يَفْتَرِقَ
السِّلْكَانِ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ لَا تُؤَدِّي إِلَى
كِتَابَةِ الْحُرُوفِ أَوْ الْأَرْقَامِ أُتِّخِذَتْ إِشَارَاتٌ تَدُلُّ
عَلَى الْكِتَابَةِ مِنْ قَطْطٍ وَخُطُوطٍ صَغِيرَةٍ تَخْتَلِفُ فِي
عَدِّهَا وَتَرْتِيبِهَا بِاخْتِلَافِ الْحُرُوفِ وَالْأَرْقَامِ فَإِذَا أُريدَ
كِتَابَةُ قُطْعَةٍ أُنْزِلَ الْمَقْبِضُ مَرَّةً ثُمَّ سُبَّ عَلَى الْفَوْرِ
وَمَتَّى أُريدَ كِتَابَةُ خَطٍّ أُنْزِلَ الْمَقْبِضُ كَذَلِكَ وَلَكِنَّهُ
لَا يَسِبُّ إِلَّا بَعْدَ مَدَّةٍ تَكْفِي لِقَرْعِ ثَلَاثِ قَطْطٍ وَجَعَلُوا
بَيْنَ الْحَدِيدَةِ وَالْمِسْمَارِ شَرِبْطًا مُتَحَرِّكًا مِنَ الْوَرَقِ تُعَلِّمُ

فِيهِ هَذِهِ الرُّمُوزُ وَقَدْ جَعَلُوا فِي كُلِّ مَكْتَبٍ مِنْ مَكَاتِبِ
التِّلْغَرافِ كِلْتَا الْأَلْفَيْنِ لِإِرْسَالِ الرِّسَالِ وَتَسْلِيمِهَا وَجَرَى
بَعْدَ ذَلِكَ تَحْسِينٌ وَتَعْدِيلٌ فِي أَزْمَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَتَّى اسْتَطَاعَ
النَّاسُ أَنْ يَكْتُبُوا رِسَالَتَهُمُ التِّلْغَرَافِيَّةَ بِالْخَطِّ وَاسْتَفْنَوْا
عَنِ الْأَشَارَاتِ وَلَكِنْ هَذَا النُّوعُ لَمْ يَشِعْ بَعْدُ فِي الدُّنْيَا

✽ ٢٩ — زُهْدُ الْهُنُودِ (١) ✽

الْبَرَاهِمَةُ	الْفُحْشُ	تَأَفُّفٌ	حَمَلَةٌ
نَزِيهَةٌ	وَسُوسٌ	الْإِتِحَارُ	مَضَضٌ
طَلِيعَةٌ	وَجَلٌ	تَلَهُمٌ	

فِي الْهِنْدِ قِئَّةٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ كَهَانَ الْهُنُودِ يَقْضُونَ
حَيَاتَهُمْ عُرَاةَ الْأَجْسَامِ وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ بَلْ يَقَاتُونَ
مِنَ الْأَلْبَانِ وَمَا صَلَحَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَثِمَارِ الْأَشْجَارِ
وَقَدْ عُرِفُوا بِالزُّهْدِ فَلَا يَأْتُونَ الْفُحْشَ وَلَا يَرْكَبُونَ
الْمُنْكَرَ وَيَكْثُرُونَ الصُّومَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ أَيَّامًا طَوِيلًا

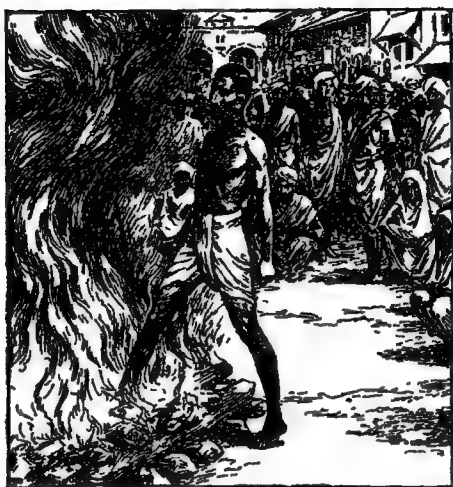
وَهُمْ ذَوُو صَبْرٍ وَجَلَدٍ شَهِدَ لَهُمْ بِهَا شَيْشِرُونَ الرُّومَانِي
خِلَالَ كَلَامِهِ عَنِ الْآلَامِ الْهَائِلَةِ الَّتِي يَقَاسِبُهَا كَثِيرٌ مِنَ
النَّاسِ بِثَبَاتٍ عَجِيبٍ قَالَ « إِنَّ فِي الْهِنْدِ حُكَمَاءَ يَقْضُونَ
أَزْمَانَهُمْ عُرَاةً وَيَحْتَمِلُونَ بَرْدَ التَّلَجِ وَظُلْمَةَ الضُّبَابِ
مِنْ غَيْرِ تَأْفُفٍ وَلَا ضَجَرٍ وَإِذَا رَأَوْا النَّارَ اسْتَسْلَمُوا لَهَا
فَتَحْتَرِقُ أَجْسَامُهُمْ وَهُمْ صَامِتُونَ »



وَقَدْ حَكَى رُؤَاةُ حَمَلَةِ الإسْكَندَرِ الْمَقْدُونِيِّ أَنَّهُ

يَوْمَ بَلَغَ تَكْسِيلاً مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ رَأَى جَمَاعَةً مِنْ
هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الْعُرَاةِ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُمْ مِنَ الْآدَابِ
وَالْفَضَائِلِ فَأَعْجَبَ بِهِمْ كَثِيراً وَصَحِبَهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ
لَهُ كَالَانِيسُ أَحَبُّهُ إِلَى سَكَنْدَرُ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ
وَكَانَ الرَّجُلُ شُجَاعاً فَاضِلاً وَشَيْخاً نَزِيهاً بَلَغَ السَّبْعِينَ
مِنْ سِنِيهِ إِلَّا أَنَّ الشَّيْخُوخَةَ وَمَا تَجَلِبُّ مِنْ التَّعَبِ
وَسَوَسَتْ لَهُ التَّخَلُّصَ مِنْ عَنَاءِ الْكِبَرِ فَعَزَمَ عَلَى
إِحْرَاقِ جِسْمِهِ وَالْأَسْتِرَاحَةِ مِنْ مَضَضِ الْحَيَاةِ وَعَيْنَ
يَوْمٍ إِلَّا تَنَحَّارَ

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ اجْتَمَعَ الْجُنْدُ وَالْقَوَادُ وَجَمَعَ
غَفِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَفِي طَلِيقَتِهِمُ الْإِسْكَندَرُ فِي سَهْلٍ
فَسِيحٍ حَيْثُ أَتَى ذَلِكَ الشَّيْخُ وَاقْتَرَبَ مِنْ مَوْضِعِ
النَّارِ بِجَاشٍ رَابِطٍ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلَا وَجَلٍ وَأَلْقَى نَفْسَهُ
وَسَطَ لِلْهَيْبِ وَأَخَذَتِ النَّارُ تَلْتَهُمْ لَحْمَهُ وَهُوَ صَامِتٌ



لَا يَنْبَغُ وَلَا يَشْكُو

وَذُكِرَتْ حَادِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نَوْعِهَا وَهِيَ أَنَّ هِنْدِيًّا
مِنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ لَحِقَ بِالْإِسْكَندَرِ حَتَّى آتَيْنَا
وَعَمِلَ هُنَاكَ مَا عَمِلَهُ كَالَايِسِ فِي الْهِنْدِ وَأَنَّ الْمَوْضِعَ
الَّذِي أُحْتَرَقَ فِيهِ سِتِي مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالْقَبْرِ
الْهِنْدِيِّ

(المتنطف)

﴿ ٣٠ - زُهْدُ الْهَنُودِ (٢) ﴾

الْفُلُوكُ اسْتِصَالُ جَابَ النِّحْلُ
تَدَنَسَ تَذَكِّيَّةٌ إِكْلِيلُ الصُّنُوجُ
أُجِجَ

لَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَزْعُمُونَ مِنْ قَبْلُ أَنَّ مَادَوْنَهُ رِوَاةُ
مَحَلَّةِ الْأِسْكَندَرِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ وَمَا يَفْعَلُونَ
لَا يَخْلُو مِنْ الْفُلُوكِ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْأَقَاصِيصِ
الْمَوْضُوعَةِ لِمَا فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ مِنَ الْغَرَابَةِ وَالشُّذُوذِ
عَنِ الْمَعْرُوفِ الْمُشَاهِدِ مِنْ عَادَاتِ الْأُمَمِ وَأَعْمَالِهِمْ
حَتَّى دَخَلَ الْفَرَنْجُ بِلَادَ الْهِنْدِ وَانْتَحَبَهَا إِلَّا نَكَلِيزُ فَأَمَّا
طُلَّابُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ التِّجَارَةِ وَدُعَاةُ الدِّينِ مِنَ الْأَوْرُبِ بَيْنَ
وَأَخَذُوا فِي دِرَاسَةِ أَهْلِهَا وَعَادَاتِهِمْ

فَرَأَوْا أَنَّ مَا كَتَبَهُ الْمُؤَرِّخُونَ الْأَقْدَمُونَ لَا غَبَارَ
عَلَيْهِ وَأَنَّ الْهَنُودَ مَا بَرَحُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَادَاتِ

وَالْأَخْلَاقِ وَأَنَّ التَّمَذِينَ الْأَوْرَثِيَّ كَمْ يَقْوُ حَتَّى الْيَوْمِ
عَلَى اسْتِئْصَالِ تِلْكَ الْعَادَاتِ وَخَبَرُ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْيُونَانِ مِنْ تَحْلَةٍ الْأَيْسَكَنْدَرِ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَهْدِ فِينَاغُورِسَ يَوْمَ جَابَ الْأَفْطَارَ الشَّرْقِيَّةَ وَبَلَغَ
الْهِنْدَ وَأَخَذَ عَنْ حُكَمَايَهَا الْعِلْمَ وَالْفَلَسَفَةَ عَلَى قَوْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ خَبَرُ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ مَعْرُوفًا لَدَى عُلَمَاءِ الْيُونَانِ
وَالرُّومَانِ فَقَطْ فَقَدْ اتَّصَلَ نَبِيُّهُمْ بِعِلْمَاءِ الْعَرَبِ فَدَوَّوْهُ
فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ وَحَسْبُكَ مَا كَتَبَهُ الشَّهْرِسْتَانِي فِي كِتَابِ
الْمَلَلِ وَالنِّحْلِ قَالَ «وَمِنْ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ مَنْ إِذَا رَأَى
عُمُرَهُ قَدْ تَدَنَسَ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّارِ تَذَكُّعًا لِنَفْسِهِ
وَتَطْهِيرًا لِبَدَنِهِ وَتَخْلِيسًا لِرُوحِهِ» وَقَالَ أَبُو الْفِدَاءِ «إِنَّ
الْهُنُودَ يُحْرِقُونَ أَنْفُسَهُمْ وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ذَلِكَ
أَتَى إِلَى بَابِ الْمَلِكِ وَأَسْتَاذَتَهُ فِي إِحْرَاقِ نَفْسِهِ فَإِذَا
أُذِنَ لَهُ أُلْبِسَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنْوَاعَ الْخَرِيرِ الْمَنْقُوشِ وَجُلِيَ

عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنَ الرِّيحَاتِ وَخَرَجَتِ الطُّبُولُ
وَالصُّنُوجُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أُجِجَتْ لَهُ النَّيِّرَانُ وَيَدُورُ
كَذَلِكَ فِي الْأَسْوَاقِ وَحَوْلَهُ أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ حَتَّى إِذَا دَنَا
مِنَ النَّارِ أَخَذَ خَنْجَرًا بِيَدِهِ وَشَقَّ بِهِ جَوْفَهُ ثُمَّ يَهْوِي
بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ

﴿ ٣١ - مَاجَزَاهُ الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ ﴾

عَلَّ يَافِعُ مُنْهَلُ أَتَمَلَّلُ
فَطَاظَةٌ تَلَايِبُ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ
« يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَنِي أَخَذَ مَالِي، فَقَالَ لَهُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ « إِذْهَبْ فَأْتِنِي بِأَيِّكَ، فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ
قَالَ النَّبِيُّ « مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ
مَالَهُ، فَقَالَ لَهُ « سَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَقَفُّهُ إِلَّا عَلَى
إِحْدَى عَمَاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْنَا مِنْ هَذَا أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتُمْ فِي
نَفْسِكَ مَا سَمِعْتَهُ أَذُنَاكَ فَقَالَ الشَّيْخُ « وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ
مَا يَزَالُ اللَّهُ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا
مَا سَمِعْتَهُ أَذُنَايَ » فَقَالَ « قُلْ فَأَنَا أَسْمَعُ » فَقَالَ :

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعَلَنْكَ يَافِعًا

تُحِلُّ بِمَا أَحْنُو عَلَيْكَ وَتُتَهَلُّ

إِذَا لَيْلَةٌ صَافَتْ بِكَ السَّحْمَ لَمْ أَبْتَ

لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ

كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي

طُرِفْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهَلُّ

تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّي

لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَفْتُ مُوَجِّلُ

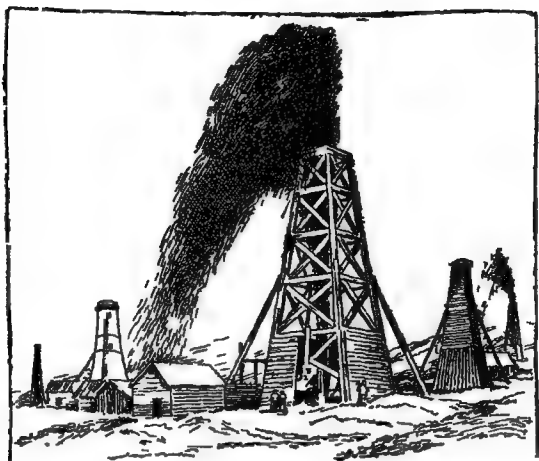
فَلَمَّا بَلَغْتَ أَلْسَنَ وَالْغَايَةَ أَلَّتِي

إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهِ أَوَّلُ

جَمَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَطَاظَةً
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَخَفِّضُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَنْعْ حَقَّ أُبُوَّتِي
فَعَلْتَ كَمَا أُلْجَأُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
حِينَئِذٍ أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَلَائِبِ
الْوَلَدِ وَسَلَّمَهُ لَوَالِدِهِ قَائِلًا لَهُ « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ »

﴿ ٣٢ - زَيْتُ الْبِتْرُولِ ﴾

يَتَفَجَّرُ تَقْطِيرُ أَوْقَدَ التَّنْقِيبُ
مِحْسٌ الْحِصُّ غَدَرٌ الْخَرْفُ
مِنْ أَنْتَقَعَ الزُّيُوتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ بِأَلْمَنَازِلِ وَالَّتِي لَا غِنَاءَ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَهْلِينَ عَنْهَا زَيْتُ الْبِتْرُولِ أَوْ زَيْتُ الْحَجَرِ
وَهُوَ الَّذِي يَسْتَعْمَلُهُ مُعْظَمُ الْأَهَالِي فِي الْأَسْتِنَارَةِ وَيُعرفُ
بِالْجَازِ وَهُوَ سَائِلٌ يُوجَدُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ بِطَبِيعَتِهِ لَهُ
رَائِحَةٌ شَدِيدَةٌ مُمَيَّزَةٌ



وَيُسْتَخْرَجُ إِمَّا بِالْمَصَاتِ وَإِمَّا بِتَشْقُقِ الْأَرْضِ
فَيَنْفَجِرُ مِنْهَا وَيَخْتَلِفُ تَرَكِيْبُهُ بِاخْتِلَافِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ
الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا فَهُوَ فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ غَيْرُهُ فِي
بِلَادِ الْمُسْكُوفِ وَفِي رُومَانِيَا وَفِي الْهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ وَعَلَى
شَوَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّهُ يَتَوَلَّدُ
مِنْ تَحْلِيلِ مَوَادِّ نَبَاتِيَّةٍ وَحَيَوَانِيَّةٍ تَحْلِيلًا بَطْنِيًّا فِي
الْأَرْضِ وَقِيلَ إِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ نَقْطِيرِ الْفَحْمِ الْحَجَرِيِّ

هَذَاكَ.

وَزَيْتُ الْبِتْرُولِ مَعْرُوفٌ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَلَكِنْ
لَمْ يَنْتَشِرْ اسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ عَشَرَ
بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى الْأَمَّاكِنِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَقَادِيرٍ
عَظِيمَةٍ مِنْهُ

وَلَمَّا شَاعَ أَنَّ الْبِتْرُولَ يُوْجَدُ فِي جِهَةِ تَبَعْدُ عَنْ
السُّوَيْسِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثِينَ كِيلُوْمِتْرٍ وَتُسَمَّى جَبَلُ الزَّيْتِ
أَوْ قَدَّتِ الْحُكُومَةُ الْمِصْرِيَّةُ سَنَةَ ١٨٨٤ مَهْنَدِسًا بِحَقِيقًا
عَالِمًا بِطَبَقَاتِ الْأَرْضِ لِلتَّنْقِيبِ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ
فَبَاشَرَ الْعَمَلَ مُدَّةً وَفِي سَنَةِ ١٨٨٦ خَرَجَ الْبِتْرُولُ فِي مَجْسٍ
أُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ عَلَى غَوْرِ خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ مِترًا مُتَخَلِّلًا
طَبَقَاتٍ مِنَ الْخَصْرِ وَالْكِبْرِيتِ وَالْخَرْفِ وَخَرَجَ عَلَى
هَيْئَةِ فَوَارَةٍ مُرْتَفَعًا مِترَيْنِ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ
يُمْكِنُ تَخْصِيصُ نَحْوِ الثَّلَاثِينَ لِيْرٍ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ مِنْ عَيْنٍ

وَاحِدَةً

وَيُوجَدُ بِمِصْرَ الْآنَ سِتُّ شَرِكَاتٍ إِنْكِلِيزِيَّةٍ تَقُومُ
بِالْبَحْثِ عَنِ الْبِتْرُولِ حَوْلَ السُّوَيْسِ وَشَوَاطِيِ الْبَحْرِ
الْأَحْمَرِ وَقِيلَ إِنَّهَا عَثَرَتْ عَلَى عِشْرِينَ بَيْتًا إِلَى الْآنَ
وَلَعَضْهَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ نَحْوُ أَلْفِ طَنٍّ فِي الْيَوْمِ

﴿ ٣٣ — بِفَدَّادُ (١) ﴾

اِخْتِطَّ	الشَّاهِقَةُ	النَّضْرَةُ	الشَّاسِعَةُ
قَصَبَةٌ	رِحَالُ	الدَّعَائِمُ	تُسُولُ
الْأَمِجْحَلَالُ	الْفَارُوزُ	بَادِيَاتُ	تَقَوَّصَتْ



لَمَّا اسْتَقَرَّتْ اِخْلَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي يَدِ الْمَنْصُورِ
الْعَبَّاسِيِّ فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الْمَجْرِيِّ الثَّانِي أُخْتُطَ عَلَى
صَفْتَي نَهْرِ دَجْلَةَ مَدِينَةِ عَظِيمَةٍ سَمَّاها بِغَدَادَ أَوْ دَارَ السَّلَامِ
شَيْدَ فِيهَا الْقُصُورَ الشَّاهِقَةَ وَالْحَدَائِقَ الْغَنَاءَ وَالْبَسَاتِينَ
النُّصْرَةَ وَعَمَرَ الْمَسَاجِدَ الثَّمَانِيَةَ الْوَاسِعَةَ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى
مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْقَلْبَةِ وَالنُّصْرِ وَقَدْ سَمِيَ بَعْدَ ذَلِكَ لِيَصْفَهَا
الشَّرِيقُ الرَّصَافَةُ وَالْغَرْبِيُّ الْكَرْخُ

أَخَذَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ زُخْرُفَهَا وَزَيَّنَتْ بِتَوَالِي خُلَفَاءِ
بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَيْهَا وَصَارَتْ قَصْبَةَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ حَتَّى جَاءَ هَارُونُ الرَّشِيدُ فَأَعْلَى مَكَانَهَا
وَجَعَلَهَا مَحَطَّ رِحَالِ الْعُلَمَاءِ وَالتُّجَّارِ وَالْقَاصِدِينَ وَأَقَامَ
لِلتَّعْلِيمِ مَدَارِسَ يَوْمُهَا آلاَفُ الطُّلَّابِ لِيَشْرَبُوا مِنْ ذَلِكَ
الْمَنْهَلِ الْعَذِيبِ وَبَنَى فِيهَا مَلَاجِي لِّلْفُقَرَاءِ وَالْمُعَوِّزِينَ
يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا بِنَعِيمٍ مُقِيمٍ بِمَا حَبَسَ عَلَيْهَا وَعَلَى الْمَدَارِسِ

مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْأَمْوَالِ لِتَكُونَ ثَابِتَةً الدَّعَاءُ لَا يُزْعِجُهَا
ظُلْمُ الْمُلُوكِ أَوْ اسْتِبدَادُ الْأَمْرَاءِ بِمَا تَسْأَلُهُ لَهُمُ الْأَهْوَاءُ
وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ يَنْتَشِرُ الْعِزُّ بَيْنَ رُبُوعِهَا
وَيَنْفَجِرُ نُورُ الْعِلْمِ مِنْ عُقُولِهَا وَالتَّاجِرُ غَادِيَةٌ رَاحِيَةٌ بَعْدَ
الرَّشِيدِ فِي أَيَّامِ ابْنِهِ الْمَأْمُونِ وَمَنْ أَعَقِبَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ
حَتَّى أَذِنَ مُؤَذِّنُ الْفَنَاءِ عَلَيْهَا بِالْإِضْمَحْلَالِ وَالْإِنْخِطَاطِ
فَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهَا صُرُوفُ الزَّمَانِ وَأَنْتَهَبَهَا الْكَازِبُونَ
وَالْفَاحِشُونَ وَتَشَتَّتَ أَهْلُهَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَفَارِجِهَا
حَاضِرَاتِهَا وَبَادِيَاتِهَا وَتَقَوَّضَتْ عِمَارَتُهَا وَكَادَتْ مَعَالِمُهَا
تَزُولُ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا التُّرْكُ بِبَاسِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ وَهِيَ
إِلَى الْآنَ فِي أَيْدِيهِمْ

✽ ٣٤ — بَقْدَادُ (٧) ✽

الْبَائِدَةُ	الْتَزُرُ	الدَّارِسُ	خَنَدَقُ
جُلُ	الْقَوَاعِدُ	الْمُقَرَّضُ	

لَمَّا اسْتَوَى التُّرْكُ عَلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ أَخَذَتِ الْحَيَاةُ
تَدْبُ فِيهَا وَالنَّاسُ يَتَوَافَدُونَ عَلَيْهَا عَسَى أَنْ تَعُودَ إِلَيْهَا
مَكَانُهَا الْبَائِدَةُ فِي التِّجَارَةِ لِأَنَّ مَوْعِهَا عَلَى نَهْرٍ دَجَلَةٍ
بِالْقُرْبِ مِنَ الْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ يَجْمَعُهَا مَرْكَزًا لِنَبَادِلِ
خَيْرَاتِ الشَّرْقِ وَالْقُرْبِ وَقَدْ بَقِيَ التُّرُكُ الْبَسِيرُ مِنْ
آثَارِ مَجْدِهَا الدَّارِسِ كَقَبْرِ الْإِمَامِينَ أَبِي حَنِيفَةَ الثُّمَانِ
وَأَبِي مُوسَى الْكَاطِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَجُزْءٍ مِنَ السُّورِ
الشَّرْقِيِّ الَّذِي كَانَ طُولُهُ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَمْثَارِ
وَأُوتِفَاعُهُ نَحْوُ الثَّلَاثِينَ بَنَاهُ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ النَّاصِرُ وَجَعَلَ
عَلَيْهِ أَبْرَاجًا عِدَّةً وَحَاطَهُ بِخَنْدَقٍ وَاسِعٍ لِيَصُدَّ الْعَدُوَّ
عَنْهَا وَقَدْ هَدَمَ جُلُ هَذَا السُّورِ مَذَحَتْ بِأَسَا أَحَدُ وُلَاةِ
التُّرْكِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ لِلْهَجْرَةِ وَلَمْ يَبْقَ
مِنْهُ إِلَّا جُزْءٌ صَغِيرٌ جَعَلُوهُ مَخْزَنًا لِلْبَارُودِ وَعَلَيْهِ كِتَابَةٌ
بَاقِيَةٌ هَذَا نَصُّهَا

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ
 الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَذَا مَا أَمَرَ بِعَمَلِهِ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامُ
 الْمُفْتَرَضُ الطَّاعَةُ عَلَى كَافَّةِ الْأَنَامِ أَبُو النَّبَاسِ أَحْمَدُ
 النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 وَحُجَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ وَلَا زَالَتْ دَعْوَتُهُ
 الْهَادِيَةُ عَلَى بَقَاعِ الْحَقِّ مَنَارًا وَالْخَلَائِقُ لَهَا أَتْبَاعًا وَأَنْصَارًا
 وَطَاعَتُهُ الْمُفْتَرَضَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَافَقَ الْفَرَاغُ
 فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِمَانَةَ وَسَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 النَّبِيِّ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ »

﴿ ٣٥ — الْفَضِيلَةُ ﴾

الْأَوَابُ مَقْلُوبَةٌ إِمْلَاقٌ الْقِسْطَاسُ
 « وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِى صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا إِن رَّبَّكَ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِمِعَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ

إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَهْرَبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمُ
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ
كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

(القرآن الكريم)

﴿ ٣٦ — الْعَرَبُ وَالطَّيْرَانُ ﴾

إِسْتِشْهَادُ إِسْتِنْبَاطُ تَفَوْقُ جُثْمَانُ
زِمِكُ الْعَنْقَاءُ قَشَمُ يَطْمُ

تَقَلَّتْ إِحْدَى الْجَرَائِدِ الْفَرَنْجِيَّةِ الَّتِي تُطْبَعُ وَتُنَشَرُ

فِي الْقَاهِرَةِ عَنْ كِتَابِ عَرَبِيٍّ أَسْمُهُ « تَفْحُ الطِّبِّ مِنْ
 غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ » ، لِمَوْلَاهِ الشَّيْخِ الْمُقَرَّبِيِّ
 التِّلْمِسَانِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَلْفٍ وَوَاحِدَةٍ وَأَرْبَعِينَ هِجْرِيَّةً
 أَعْنَى فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَنْ أَوَّلَ مُخْتَرِعٍ
 لَا لَاتِ الطِّبْرَانِ هُوَ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ يُدْعَى أَبَا الْقَاسِمِ
 عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ الَّذِي كَانَ طَبِيبًا لِلْخَلِيفَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 الثَّانِي مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ثَمَانِمِائَةٍ وَوَاحِدَةٍ وَعِشْرِينَ
 وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ عِنْدَ اسْتِشْهَادِ الْمَوْلَفِ عَلَى
 سَبْقِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي اسْتِنْبَاطِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ وَتَفَوْقِ
 أَذْهَانِهِمْ مَا يَأْتِي « وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ أَنْ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ فِرْنَاسٍ
 حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنْ اسْتَنْبَطَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ
 الرُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا كِتَابَ الْعُرُوضِ
 لِلْخَلِيلِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِيقَا وَوَضَعَ الْأَلَاةَ الْمَعْرُوفَةَ
 بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ وَاحْتِمَالٍ

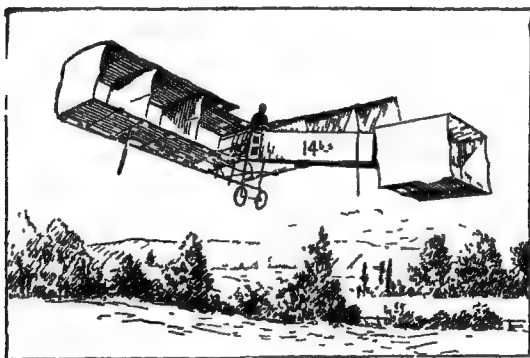
فِي تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَسَا تَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ
وَطَارَ فِي الْجَوِّ مَسَافَةً بَعِيدَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْأُخْبِيَالَ
فِي وَقُوعِهِ فَتَأَذَّى مُؤَخَّرُهُ وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ
عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا، وَفِيهِ قَالُ مُؤَمِّنُ ابْنِ سَعِيدٍ
الشَّاعِرُ أَيْنَانًا مِنْهَا

يَطُمُّ عَلَى السَّمَاءِ فِي طَيْرَانِهَا

إِذَا مَا كَسَا جُثَمَانَهُ رِيحَ قَشَمٍ
وَقِيلَ إِنَّ أَبَا فِرْعَانَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْزِضَ أُخْتِرَاعَهُ
عَلَى أَهَالِي قُرْطُبَةَ اجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِمُشَاهَدَتِهِ وَكَانَ
نَجَاحُهُ قَلِيلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنَ الْإِتِّقَالِ بِطَيَّارَتِهِ فِي
الْجَوِّ بَلْ كُلُّ مَا أَمْكَنَ أَنَّهُ بَقِيَ مُرْتَفِعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ
وَسَقَطَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ أَصْوَاتِ الْهَنَافِ
وَالْإِسْتِهْزَاءِ وَالضَّحِكِ

﴿ ٣٧ - الطَّيْرَانُ ﴾

إِطَارُ تَمْتَطِي مَنُّ الْكَاعْدُ الزَّعْرَعَةُ
 الْعَنَانُ صِهْوَةٌ الذَّرَائِعُ غَشَاءُ
 الدَّوَامَةُ السَّكُنُ تَذِيلُ يَتَسَنَّمُ



كُلُّ طِفْلِ يَتَذَكَّرُ الطَّيَّارَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي طَالَمَا
 طَبَّرَهَا فِي الْفَضَاءِ وَجَرَى بِهَا اتِّقَاءَ سَقُوطِهَا إِذَا مَرَّأَهَا
 تَنَاقَلَتْ لِيَخْلُقَ لَهَا بِحَرِّهِ خِفَةً وَقُوَّةً تَمْتَطِي بِهِمَا مَنُّ
 لَهَاوَاهِ الَّذِي يَدْفَعُهَا بِشِدَّةٍ مُقَاوَمَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ

هَذِهِ الطَّيَّارَةُ الصَّغِيرَةُ تَتَرَكَّبُ مِنْ إِطَارٍ مِنْ
 الْقَصَبِ أَوْ الْخَشَبِ الرَّفِيعِ عَلَيْهِ كِسَاءٌ مِنَ الْكَاعِغِ
 أَوْ الْحَرِيرِ السَّخِيفِ وَطَرَفَاهُ مُتَّصِلَانِ بِخَيْطٍ يَزِيدُ طَوْلَهُ
 كَثِيرًا عَلَى طُولِ الطَّيَّارَةِ نَفْسَهَا وَعَلَى جَانِبَيْهَا جَنَاحَانِ
 مِنْ شَرَايِطٍ مِنَ الْوَرَقِ يَمْتَنِعَانِ تَذْبُذْبَهَا وَأَضْطَرَابَهَا ذَاتِ
 الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ وَفِي طَرَفِهَا السُّفْلَى ذَيْلٌ مِثْلُ
 الْجَنَاحَيْنِ يَحْمِلُهَا الزُّعْرَةُ وَالْإِقْلَابُ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُطِيرَ
 طَيَّارَتُهُ رَبَطَ الْخَيْطَ الْوَاصِلَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا بِسِلْكٍ طَوِيلٍ
 مَلْفُوفٍ عَلَى مَسْلَكَةٍ ثُمَّ أَرْخَى لَهَا الْعِنَانَ وَاجْتَذَبَهَا نَحْوَهُ
 بِسُرْعَةٍ فَيَلْطِمُهَا الْهَوَاءُ وَهِيَ مَائِلَةٌ عَلَيْهِ فَتَصْعَدُ فِيهِ وَتَمْتَلِي
 صَوْتَهُ وَكُلَّمَا أَطْلَقَ لَهَا الْعِنَانَ ابْتَعَدَتْ وَارْتَفَعَتْ
 إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ

بِهَذِهِ الذَّرَائِعِ نَفْسَهَا تَذَرِّعُ الْعُلَمَاءُ فِي اخْتِرَاعِ
 مَرَائِكِ الْهَوَاءِ فَيَعْمَلُوا لِلْمَرْكَبِ سَطْحًا أَوْ سَطْحَيْنِ

مِنْ غَشَاهُ مَتِينٍ مَشْدُودٍ عَلَى إِطَارٍ مُقْتَرَضٍ مِنْ مَعْدِنٍ
 صَلْبٍ خَفِيفٍ هُوَ الْأَلُومِينِيُّمْ وَرَكَّبُوا فِي وَسْطِهِ آلَةَ
 خَفِيفَةَ الْحَمْلِ شَدِيدَةَ الْقُوَّةِ تَدُورُ دَوَّامَةً مَتِينَةً فِي أَحَدِ
 طَرَفَيْ الْمَرْكَبِ وَذِيْلُوهُ بِسَطْحٍ يُؤَثِّرُ فِيهِ تَأْثِيرُ السُّكَّانِ
 فِي السَّفِينَةِ لِكَيْمَا يَتَجَهَّ وَيَسِيرَ وَثَقَّ رَغْبَةً رَاكِبِهِ
 وَلَقَدْ ذَاعَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا خَبَرُ تَذَلُّلِ
 الْهَوَاءِ وَجَوْبِهِ بِتِلْكَ الْأَلَاتِ الطَّائِرَةِ فَاهْتَزَّ الْكَوْنُ
 طَرَبًا وَتَسَابَقَ النَّاسُ إِلَى مِيَادِينِ الطَّيْرَانِ لِيُشَاهِدُوا
 الْإِنْسَانَ الْمَخْلُوقَ مِنَ الطِّينِ يَتَسَنَّمُ الْجَوْ وَيَرْقَى فِيهِ
 كَأَنَّهُ رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ اللَّطِيفَةِ كَمَا شَاهَدَ أَهْلُ مِصْرَ
 مِنْ بَدِيعِ آيَاتِ الطَّيْرَانِ فِي مِيْدَانِ مِصْرَ الْجَدِيدَةِ
 مَا اسْتَوْقَفَ الْأَنْفَاسَ فِي الصُّدُورِ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَى
 فِيهِ مَرَاكِبُ الْهَوَاءِ مُتَدَاوِلَةً مُنْشِيرَةً كَمَا تَتَشَاكَّرُ مَرَاكِبُ
 الْأَرْضِ فَيَصْدُقُ مَثَلُ الْعَوَامِ وَأَبْنُ آدَمَ طَيْرٌ وَلَيْسَ

يَطِيرُ

﴿ ٣٨ - أَعْرَابُ الْبَادِيَةِ (١) ﴾

لَظِي	السُّهْلُ	مَطَايَا	يَرِيمُ
فِطْرَةُ	الْحَضْرُ	تَوَعَّلَ	الْعَيْبُ
	عِقَالُ	الْأَمْلَاكُ	خُسُونَةُ



إِنَّ أَعْرَابَ الْبَادِيَةِ قَوْمٌ رَحَالَةٌ يَسْكُنُونَ بُيُوتًا
مِنَ الشَّجَرِ وَلَا يَتَنَوَّنَ يَتَنَا ثَابِتًا لِأَنَّهُمْ يَهيمُونَ فِي كُلِّ
وَادٍ حَيْثُ طَابَ لَهُمُ الْعَيْشُ ذَاهِبِينَ يَبْثُوثُهُمْ عَلَى ظُهُورِ
مَطَايَاهُمْ يَنْصَبُونَهَا حَيْثُ يَتَنَوَّنَ الْإِقَامَةَ وَهُمْ يُعَوِّلُونَ
فِي مَعِيشَتِهِمْ عَلَى مَا شِئْتَهُمُ الَّتِي يَغْذُونَهَا بِمَا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ كَلَالِ الطَّبِيعَةِ وَيَغْذُونَ بِلُحُومِهَا وَالْبَاهِيَا
وَيَتَّخِذُونَ مَا زَادَ مِنْهَا وَمِنْ صُوفِهَا وَشَعْرِهَا وَوَرِهَا
لِسَدِّ مَا بَقِيَ مِنْ حَوَائِجِهِمْ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنِ
وَأَكْتِسَابِ دَرَاهِمٍ يَسْتَعِينُونَ بِهِ لَدَى الْحَاجَةِ

وَأَكْثَرُ مَا يَسْكُنُونَ السُّهْلَ يُرَاقِبُونَ فِيهَا سَيْرَ
الْفُصُولِ فَإِذَا اسْتَدْبَرَهُمْ لُطَى الْخَرِّ طَلَبُوا الْأَنْهَارَ وَتِجَارِي
الْمَاءِ وَالْأَرَاضِيَ النُّصِرَةِ

وَإِذَا نَزَلَ الْقَيْثُ وَأَزْتَوَتِ الْأَرْضُ وَأَنْبَتَتْ رِبْعَهَا
تَوَغَّلُوا فِي الْقَفَارِ مُسْتَنْحِبِينَ مَا شِئْتَهُمْ وَيُؤْوِيهِمْ وَهُمْ

عَلَى كُلِّتَا الْحَالَتَيْنِ لَا يَنْقَطِعُونَ عَنْ مُخَالَطَةِ الْخَضِرِ لِبَيْعِ
مَالَدِيهِمْ وَشِرَاءِ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ طَعَامٍ وَلِبَاسٍ
وَالْبَدْوُ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى مَا وَرَثُوهُ مِنْ
الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ إِذْ مَا فَيْتُوا عَلَى فِطْرَتِهِمْ مُتَّصِفِينَ بِمَا
اتَّصَفُوا بِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وَمَعَ
أَنَّ الْبَدْوِيَّ مَوْصُوفٌ بِخُشُونَةِ الطَّبَاجِ وَالْعِنَادِ وَالْعِلَظَةِ
فَهُوَ جَامِعٌ لِرِقَّةِ الْإِحْسَاسِ وَدِقَّةِ الْإِدْرَاكِ وَلَا يَزَالُ بَيْنَ
الْبَدْوِ حَتَّى الْآنَ بَقِيَّةٌ يَدِينُونَ بِدِينِ أَسْلَافِهِمْ وَيَعْبُدُونَ
الْحِجَارَةَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَفْلَاقَ

وَمَلَابِسُ الْبَدْوِ قَمِيصٌ طَوِيلٌ مَسْدُودٌ يَجْبَلُ عَلَى
الْوَسَطِ وَعَلَى الرَّأْسِ الْمَسَادِيلُ الْكُوفِيَّةُ يُثَبَّتُونَهَا بِعِقَالٍ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ الْعِبَاكَ فَوْقَ الْقَمِيصِ

(تاريخ العرب وآدابهم لفنديك)

﴿ ٣٩ - أَعْرَابُ الْبَادِيَةِ (٢) ﴾

شُبُوبٌ	أَكْمِيَّةٌ	أَنْفَةٌ	تَمْخُوةٌ
مَعْقُودَةٌ	الرَّمْحُ	قَوَافِلُ	يُغِيرُ
أَلْفَارُوقُ	أَلْفَيْصَلُ	أَلْعُرْفَاءُ	



أَمَّا الْبَدَوِيَّاتُ فَهِنَّ فِي الْبَادِيَةِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ

الرِّجَالِ وَبِالطَّعِ الْيَنُ جَانِبًا وَأَرْقُ طِبَاعًا وَلَسَنَ مَعَ ذَلِكَ
دُونَ الرِّجَالِ نَحْوَةٌ وَشَهَامَةٌ وَأَخْلَافُهُنَّ بِالْجُمْلَةِ سَمِيدَةٌ
وَحَيْرٌ مَا يَزِينُهُنَّ عِزَّةُ النَّفْسِ وَأَنْفَةُ الْحَمِيَّةِ وَفِيَا مَهُنٌ
مَقَامَ الرِّجَالِ فِي أَكْثَرِ الْأَعْمَالِ

وَالنَّارُ عِنْدَ الْبَدْوِ مَشْهُورٌ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ وَلَا
يُرَالُ بِأَفِيًا حَتَّى الْآنَ وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ السَّبَبُ فِي
شُبُوبِ الْعَدَاوَةِ وَالْحَرْبِ بَيْنَ قَبِيلَةٍ وَأُخْرَى إِلَّا أَنَّهُ
يُعَوِّضُ عَنِ الدِّمِّ بِالدِّيَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ

وَمِنْ الْبَدْوِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ يَتَعَاطَوْنَ السَّلْبَ
وَالْهَبَّ وَيُغِيرُونَ عَلَى قَوَافِلِ الْحُجَّاجِ يَسْلُبُونَهَا أَوْ
يَلْزِمُونَ الرُّكْبَ بِدَفْعِ فِدْيَةٍ يَفْتَدُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَفِي غَزَوَاتِهِمْ يَسْتَعْمِلُونَ السَّيْفَ وَالرُّمَحَ
وَأَكْثَرُ اعْتِمَادِهِمْ عَلَى الرِّمَاحِ وَقَدْ شَاعَ اسْتِعْمَالُ
الْبُنْدُقيَّاتِ عِنْدَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ

أَمَّا تَرْحُكَامُ فِي الْبَادِيَةِ فَوَكُودُهُ إِلَى الشُّبُوحِ
وَالْأَمْرَاءِ وَهِيَ تُمَثِّلُ مَبَادِي الْحُكْمِ الْفِطْرِيِّ فَالْقُوَّةُ
لِئِنْ غَلَبَ وَتَتَبَعَهَا الرِّزْوَةُ فَلَيْسَ لَهُمْ قَوَانِينُ مَكْتُوبَةٌ
وَجَالِسُ مَعْقُودَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُومُ الْعُرْفُ أحيانًا مَقَامَ
الْقَانُونِ النَّافِذِ فَيَرْجِعُونَ بِالتَّقَاضِي إِلَيْهِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا
فِي أَمْرِ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفَعُوهُ إِلَى الْعُرَفَاءِ وَالْعَرِيفِ
عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْقَاضِي بِحُكْمٍ بِمَا عَرَفَهُ بِالْإِخْتِبَارِ مِمَّا
جَرَى عَلَيْهِ الْعَرَبُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَهُوَ يَقُومُ مَقَامَ
الْفَيْضِ أَوْ الْفَارُوقِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَلَهُ بَيْنَهُمْ مَنْزِلَةٌ
كُبْرَى أَمَّا اللُّغَةُ فَقَدْ تَطَرَّقَ إِلَيْهَا الْفَسَادُ وَاسْتَوَلَى
عَلَيْهَا الْإِنْحِطَاطُ وَلَوْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْعَامَةِ الْبَدْوِ أَصَحُّ
مِنَهُ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ الَّتِي غَلَبَتْ فِيهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَالْلَفْظُ
أَصْبَحَ وَالْكَلَامُ نَقِيًّا مِنْ خَلِيطِ الْأَلْفَاظِ الْأَعْجَمِيَّةِ

(تاريخ العرب وآدابهم لفنديك)

﴿ ٤٠ - نُكْرَانُ الْجَمِيلِ ﴾

التَّجْدِيفُ أَشْرَفُ تَدَارَكَ غَشِيَةٌ
تَبَجَّحُ يُصِمُّ أَلِيمٌ جُحُودٌ
زَوْرَقٌ

كَانَ أَمِيرٌ هِنْدِيٌّ مُعَرَّمًا بِالتَّجْدِيفِ وَأُتِّقَ ذَاتَ
يَوْمٍ أَنْ أَوْقَعَهُ سُوءُ حَظِّهِ فِي النَّهْرِ فَأَشْرَفَ عَلَى الْفَرَقِ
لَوْلَا أَنَّ عَبْدًا تَدَارَكَهُ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ وَرَأَاهُ
وَأَمْسَكَ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ وَهُوَ فِي غَشِيَةٍ مِنْ
الرُّعْبِ وَمِنْ الْمَاءِ الَّذِي أَبْتَلَمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ أُرْسِلَ فِي
إِحْضَارٍ مِنْ نَجَاهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدٌ فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ « كَيْفَ
تَجَرُّأُ أَنْ تَمْسَ سَيِّدَكَ الطَّاهِرَ الْمُقَدَّسَ بِتِلْكَ الْيَدِ
الْنَجَسَةِ الذَّلِيلَةِ » فَقَالَ الْعَبْدُ « إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِأَمْرٍ لَا
لِأَهْذَاكَ مِنَ الْفَرَقِ » فَقَالَ الْأَمِيرُ « لَقَدْ لَوَّثَ بَدَنِي
أَيُّهَا الْعَبْدُ الْوَضِيعُ وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا الْإِعْدَامُ جَزَاءُ

تَبْجُحُكَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ خَرَجَ الْأَمِيرُ يُجَدِّفُ
كَمَا دَتِهِ وَحَاوَلَ إِلَّا تَنَقَّلَ مِنْ زَوْرَقٍ إِلَى آخَرَ فَهَوَى بَيْنَ
الزَّوْرَقَيْنِ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ لِإِنْقَادِهِ فَصَاحَ وَأُسْتَمَاعَتْ وَلَا
مُجِيبَ وَلَا مُعِيبَ وَلَكِنْ صَوْتًا رَنَ فِي أُذُنِهِ حَتَّى كَادَ
يُصِيبُهُمَا وَهُوَ يَقُولُ « هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بَعْدَ عَمَلٍ مِنْكَ قَدْ
فَاتَ فَذُقْ كَأْسَ الْمَمَاتِ ، فَقَذَفَهُ الْيَمُّ وَأَبْنَلَعَهُ الْبَحْرُ
وَمَاتَ غَرِيقًا يَلْقَى عَذَابَهُ مِنْ خَالِقِ تِلْكَ النَّفْسِ الْبَرِئَةِ
الَّتِي قَتَلَهَا بِجُحُودِهِ وَكُفْرَانِهِ

﴿ ٤١ - تَنَازُعُ الْبَقَاءِ ﴾

خَافِقَةٌ	تَلْمَعَةٌ	كَنْ	مَرَبِضٌ
مَذُودٌ	سُوقَةٌ	نَجْمَةٌ	الرَّوَادُ
أَوْمَضٌ	دَحَرَ	جَنَدَلٌ	

إِذَا نَظَرَ الْعَاقِلُ فِيمَا حَوْلَهُ نَظَرَ الْحَكِيمُ رَأَى أَعْلَامَ
الْحَرْبِ خَافِقَةً فَوْقَ كُلِّ نَبْتَيْنِ فِي تَلْمَعَةٍ وَفَوْقَ كُلِّ

طَائِرِينَ فِي كَيْنٍ وَكُلِّ شَاتَيْنِ عَلَى مَرِيضٍ وَكُلِّ جَوَادَيْنِ
عَلَى مَذُودٍ وَبَيْنَ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ فِي الْهَيْئَةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ
عُلَمَاءَ وَجُهَلَاءَ سُوقَةَ وَأَعْيَانًا مُلُوكًا وَعَبِيدًا أَغْنِيَاءَ وَقُفَرَاءَ
مُتَمَدِّنِينَ وَمُتَوَحِّشِينَ رِجَالًا وَنِسَاءً كِبَارًا وَصِغَارًا بَلَّ
بَيْنَ الْأَذْيَانِ الْمُخْتَلَفَةِ وَالْآرَاءِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَالْمَذَاهِبِ
الْعِلْمِيَّةِ وَبَيْنَ اللُّغَاتِ وَالْمَادَاتِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ بَلَّ
بَيْنَ الْعَوَاطِفِ وَالْمَدَارِكِ فَالْوُجُودُ كُلُّهُ حَرْبٌ فِي حَرْبٍ
فِي حَرْبٍ

وَإِذَا أَعَدْنَا النُّظَرَ فِي تَارِيخِ الدُّوَلِ رَأَيْنَا حَلَقَاتِ
التَّنَازُعِ مُتَوَالِيَةً وَالدُّوَلِ فِي صُعُودٍ وَهُبُوطٍ
فَفِي نَجْرِ التَّارِيخِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْمِصْرِيَّةُ قَابِضَةً
عَلَى زِمَامِ الْأَحْكَامِ فِي الْعَالَمِ الْمُتَمَدِّنِ وَكَانَتْ
مَدَائِنُهَا وَأَسْوَاقُهَا وَمَدَارِسُهَا كَعِبَّةَ الْقَصَادِ وَنُجْمَةَ الرُّوَادِ
وَوَلَّتْ رَبَّةَ الْمَمَالِكِ وَالْأَمْصَارِ حَتَّى بَرَزَتْ إِلَى عَالَمِ

الْوُجُودِ الدَّوْلَةُ الْأَشُورِيَّةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِي يَبْنُوى وَامْتَدَّتْ
شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا حَتَّى احْتَكَمَتْ بِالدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ
فَأَوْمَضَ يَنْهَمًا شَرُّ الْحَرْبِ وَأُسْتَمَرَّتْ نِيرَانُ الْمُعَارِكِ
حَتَّى انْجَلَتْ عَنْ فَوْزِ الْأَشُورِيِّينَ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْ رُبُوعِ
آسِيَا وَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ إِلَى نُهْوضِ الْمَادِيِّينَ بِقِيَادَةِ كِيكْسَارِسَ
فَدَحَرَ الْأَشُورِيِّينَ وَحَلَّ مَحَلَّهُمْ وَخَلَفَهُ فِي سِيَادَةِ الْمَشْرِقِ
خُلَفَاؤُهُ إِلَى ظُهُورِ الْإِسْكَندَرِ الْكَبِيرِ الَّذِي أُنْذِفَعَ
مِنْ وَرَاءِ الدَّرْدَنِيلِ أُنْذِنَعَ السَّبِيلُ إِلَى الْقَرْيَةِ وَهَبَطَ
عَلَى أَقَالِيمِ آسِيَا وَإِفْرِيقِيَّةِ هَبُوطَ الْكَوَاسِرِ عَلَى صِغَارِ
الطُّيُورِ فَجَنَدَلْ أَبْطَلَهَا وَدَوَّخَ أَمْصَارَهَا وَتَسَمَّ عُرُوشَهَا
وَأَجْهَزَ عَلَى مَمَالِكِ مِصْرَ وَفَارِسَ وَصُورَ وَغَيْرِهَا وَبَسَطَ
ظِلَّهُ عَلَى الْأَقَالِيمِ الْمُمْتَدَّةِ مِنَ الْكَنْجِ إِلَى النَّيْلِ وَمِنْ
تَجْدٍ إِلَى الدَّانُوبِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ انْقَسَمَتْ مَمْلَكَتُهُ الْوَاسِعَةُ
النِّطَاقِ إِلَى أَرْبَعٍ ثِنْتَانِ مِنْهَا سُورِيَّةٌ وَمِصْرُ وَسَادَ

الْأُولَى الْأَنَاطِيحُ وَالثَّانِيَةُ الْبَطَالِسَةُ وَحُرُوبُهَا مُنْكَاحِي
حُرُوبَ الْوَرْدَتَيْنِ فِي تَارِيخٍ إِنْكَلَرَا وَلَا زَالَتَا فِي كَرٍّ وَفَرٍّ
إِلَى أَنْهَاءِ مَجْرَاهُمَا التَّارِيخِي فِي حِجْرِ الدَّوَاةِ الرُّومَانِيَةِ الَّتِي
أَتَهَمَتِ الْمَمَالِكَ الْمُجَاوِرَةَ لَهَا إِلَهُامَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ
الْجَدَاوِلَ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ

﴿ ٤٢ ﴾ - الْخَلِيفَةُ وَرَئِيسُ الشَّرْطَةِ *

الشَّرْطَةُ نُدْمَاءُ أَفْهَنُ مُنْكَفِنُ
مُحَنِّطُ النَّطْعُ اسْتَدْتَنِي خَلَعُ
أَفِضَ زَلْزَلَ الضُّوْضَاءُ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَالِكٍ كُنْتُ أَتَوَلَّى الشَّرْطَةَ
لِلْخَلِيفَةِ الْمُهَدِّيِّ وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيَّ فِي نُدْمَاءٍ وَلَدِهِ الْهَادِي
أَنْ أَضْرِبَهُمْ وَأَحْبِسَهُمْ صِيَانَةً لِلْهَادِي عَنْهُمْ فَيَبْعَثُ إِلَيَّ
الْهَادِي يَسْأَلُنِي الرَّفْقَ بِهِمْ وَالتَّخْفِيفَ فِي أَمْرِهِمْ فَلَا
أُلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ وَأَمْضَى لِمَا يَأْمُرُ بِهِ الْمُهَدِّيُّ فَلَمَّا وُلِّيَ

الْهَادِيِ الْخِلَافَةَ أَقْبَتُ بِالتَّلَفِ فَبَعَثَ إِلَيَّ يَوْمًا فَخَضَرْتُ
وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ مُتَّكِفِينَ مُتَحَنِّطًا وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ
عَلَى كُرْسِيِّ وَالنَّيْطُعُ وَالسَّيْفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
فَقَالَ «لَا سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَتَذْكُرُ يَوْمًا بَعَثْتُ إِلَيْكَ فِي أَمْرِ
الْجَزَائِمِ لَمَّا أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِضَرْبِهِ فَلَمْ تُجِبْنِي وَفِي
فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وَجَعَلَ يُعَذِّدُ نَدْمَاءَهُ » فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيَّ
قَوْلِي ، قُلْتُ « نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَأَذُنُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ،
قَالَ « نَعَمْ ، قُلْتُ « أَتَشَدُّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْسُرُكَ
أَنْتَ وَلَيْتَنِي مَا وَلَانِي أَبُوكَ وَأَمَرْتَنِي بِأَمْرِ فَبَعَثَ إِلَيَّ
بَعْضُ وَلَدِكَ بِأَمْرِ يُخَالِفُ أَمْرَكَ فَأَتَيْتُ أَمْرَهُ وَهَمِيتُ
أَمْرَكَ ، قَالَ « لَا ، قُلْتُ « فَكَذَلِكَ أَنَا لَكَ وَكَذَلِكَ
كُنْتُ لِأَيِّكَ ، فَأَسْتَدْنَانِي فَقَبِلْتَ يَدَهُ فَأَمَرَ بِمُجْلَعِ
أُفَيْضَتُ عَلَى وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي
مُفَكِّرًا فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِي وَخِفْتُ إِنْ حَدَّثَ الْقَوْمُ

بِالْأَمْرِ الَّذِي عَصَيْتُهُ فِيهِ أَنْ يُزِيلُوهُ عَنْ رَأْيِهِ فِيَّ وَإِلَيَّ
 جَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيَّ خُبْزٌ وَأَنَا أَسْخِنُهُ وَأُطْعِمُهُ الصَّبِيَّةَ
 حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَقْتَلِمْتُ وَزُلْزَلَتْ مِنْ شِدَّةِ
 وَقَعِ حَوَافِرِ الْخَلِيلِ وَكَثْرَةِ الضُّوْضَاءِ وَإِذَا الْبَابُ قَدْ فُتِحَ
 وَإِذَا الْخَلْدُمُ قَدْ دَخَلُوا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَسْطِهِمْ فَلَمَّا
 رَأَيْتُهُ وَبَنْتُ مِنْ مَجْلِسِي فَقَالَ « خِفْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ
 يَسْبِقَ إِلَى قَلْبِكَ سُوءُ الظَّنِّ بِأَعْدَائِكَ فَيَزِيلُونَ مَا حَسُنَ
 مِنْ رَأْيِي فِيكَ فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِكَ لِأَوْانِسِكَ وَأَعْلَمَكَ
 أَنَّ الْوَحْشَةَ قَدْ زَالَتْ فَلَا تَسْتَوْحِشَنَّ »

(العقد الفريد للملك السعيد)

* ٤٣ - التَّحْذِيرُ مِنْ هَوَى النَّفْسِ *

مَحْضٌ	عَدْلٌ	أَمَارَةٌ	نَذِيرٌ
فِرَى	مُخَشِّمٌ	أَوْقِرٌ	الْكَمُّ
جَاحٌ	يَصِمٌ	سَائِمَةٌ	مَخْمَصَةٌ

اَلتَّخَمُ عَقْمٌ حَمِيَةٌ قَافِلَةٌ

مَحْضَتْنِي النُّصْحَ لَيْكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعَذَالِ فِي صَمِّ
إِنِّي أَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ

وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصْحٍ عَنِ الْتَهَمِ
فَإِنَّ أُمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا تَعَطَّتْ

مِنْ جَهْلَهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى

ضَيْفِ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ

كُنْتُ مِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَمِّ
مَنْ لِي بِرَدِّ جِحَاحٍ مِنْ غَوَايِمِهَا

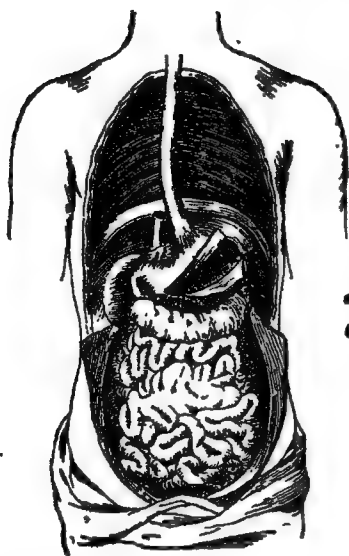
كَمَا يُرْدُّ جِحَاحُ الْخَيْلِ بِاللَّجْمِ
فَلَا تَرْمِ بِالْمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتِهَا

إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ
 وَالنَّفْسُ كَالِطِفْلِ إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى
 حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّعَتْ يَنْفَطِمَ
 فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤْلِيَهُ
 إِنَّ الْهَوَى مَاتَوَلَّى يُضِمُّ أَوْ يَصِمُّ
 وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
 وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْغَى فَلَا تُسَمِّ
 كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةٌ
 مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّمِّ
 وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
 قَرُبَ مَخْصَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التَّخَمِّ
 وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَغَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ اِمْتَلَأَتْ
 مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حِمِيَّةَ النَّدَمِ
 وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَأَعْضِيَهَا

وَإِنْ مُمَا مَحْضَاكَ النُّصْحَ فَاتِّهِمِ
وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمَا خَصَنًا وَلَا حَكَمًا
فَإِنَّ تَعْرِفَ كَيْدِ الْخُلُصِمِ وَالْحَكَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِي بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِيَذَى عَقْمٍ
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا أَتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا أَسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ أَسْتَقِمِ
وَلَا تَزُودْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أَصَلِ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصُمِ
(البردة للبوصيرى)

﴿ مَصْنَعُ الْجَنِّمِ ﴾

الرَّبَاعِيَّاتُ النَوَاحِذُ الْمَرِيَّةُ اللَّعَابُ
الْأَزْدِرَادُ زِقٌ مَقْقُوفٌ الْمَصِيرُ
أَلَمَّا



جِسْمُ الْإِنْسَانِ
دَائِمٌ الْحَرَكَةُ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا لَا يَقْعُدُ عَنْ
أَدَاءِ أَعْمَالِهِ الَّتِي
تَقُومُ بِهَا الْحَيَاةُ وَلَكِنْ
هَذِهِ الْحَرَكَةُ تَبْرِيهِ
وَتَقْفِدُهُ شَيْئًا مِنْ
مَادَّتِهِ فَيَحْتَاجُ دَائِمًا

إِلَى تَجْدِيدِ مَا قَعَدَ وَتَعْوِضِهِ فِي مَصْنَعٍ مِنَ الْمَصَانِعِ كَمَا
يَحْصُلُ فِي سَائِرِ الْعُدَدِ الْآلِيَّةِ

وَيَخْتَلِفُ الْجِسْمُ عَنْ هَذِهِ الْعُدَدِ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ مَصْنَعَةً
فِي جَوْفِهِ يُجَدِّدُ بِهِ مَادَّتَهُ كُلَّ لَحْظَةٍ بِغَيْرِ تَوَانٍ أَوْ بَطَالَةٍ
وَيَزِيدُ عَلَيْهَا فِي حَدَاثَةِ السِّنِّ قَدْرًا يُنَاسِبُ حَالَةَ نَمَاتِهِ
وَهَذَا الْمَصْنَعُ مِنْ أَدَقِّ الْمَصَانِعِ وَأَبْدَعِهَا تَكْوِينًا

وَتَرْكِيهَا يُحِيلُ صُنُوفَ الْغِذَاءِ مِنْ نَبَاتٍ وَلَحْمٍ وَشَحْمٍ
وَسَائِلٍ إِلَى لَحْمٍ وَدُهْنٍ وَعِظَامٍ وَدَمٍ خَالِصٍ وَيَطْرَحُ ثَقُلَهَا
الْفَاسِدَ مِنْ تَجَارٍ وَمَسَارِبَ كَيْلًا يَبْقَى فِي الْجَسِمِ فَسَادُ
يَدْخُلُ الْغِذَاءُ فِي الْقَمَرِ فَتَقْضُمُهُ الرِّبَاعِيَّاتُ وَتُمَزِّقُهُ
الْأَنْبَابُ وَتَطْحَنُهُ التَّوَاجِدُ وَيُؤَثَّرُ فِيهِ اللَّعَابُ وَيُحِيلُهُ
إِلَى عَجِينَةٍ مَائِعَةٍ سَهْلَةٍ إِلَّا زِدْرَادٍ فِي الْمَرِيءِ الَّذِي نَجْرِي
فِيهِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ الْمَعِدَةُ فَتَخْتَلِطَ بِعَصِيرِهَا وَتَمْتَزِجَ بِهِ
تَمَامَ الْأَمْتِزَاجِ لِأَنَّ جَوْفَ الْمَعِدَةِ فِي حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ
تُقَلِّبُ الطَّعَامَ وَالْعَصِيرَ فَيَتَّحِدَانِ وَيَسْتَحِيلُ الطَّعَامُ إِلَى
مَادَّةٍ مَائِعَةٍ لَا تُشَبِّهُ أَصْلَ جَوْهَرِهَا وَالْمَعِدَةُ مَمْدُودَةٌ عَلَى
حَرَضِ الْبَطْنِ وَهِيَ شَبُّهُ زِقٍّ صَغِيرٍ فَهِيَ فِي الْبَسَارِ يَضِيقُ
مِنْ فَوْقُ لِيَتَّصِلَ بِالْمَرِيءِ وَبِطَائِفِهَا تَحْتَوِي عَلَى غِشَاءٍ
يُحَاكِي الْقَطِيفَةَ وَطَرَفُهَا الْأَيْمَنُ مَقْشُوفٌ إِلَى أَسْفَلَ
لِيَتَّصِلَ بِالْمَصِيرِ الَّذِي يَبْرُلُ فِيهِ الطَّعَامُ بَعْدَ هَضْمِهِ

فَيَعْمَلُ فِيهِ الْمَعَا وَإِفْرَازُ الْكَبِدِ ثُمَّ تَمْتَصُّ عُرْوُوقُ الدَّمِ
خُلَاصَتَهُ وَتَسِيرُ بِهَا إِلَى جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ فَيَأْخُذُ كُلُّ غُضُو
مِنَهَا قِسْطًا عَلَى قَدْرِ أَحْتِيَاجِهِ وَمَا بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ نُفْلٌ
فَاسِدٌ يَتَسَرَّبُ فِي الْأَمْعَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْجَنَنِ وَمِنْ هَذَا
الْبَيَانِ تَتَضَيَّحُ فَائِدَةُ إِحْسَانِ مَضْغِ الطَّعَامِ وَجَعَلِ قَتَرَةً
بَيْنَ كُلِّ أَكَلَةٍ وَأُخْرَى تَكْفِي لِمَا مِ الْهَضْمِ حَتَّى لَا يَدْخُلَ
طَعَامٌ لَمْ يُهَضَمْ عَلَى آخَرِ هَضْمٍ بَعْضُ الْهَضْمِ لِئَلَّا يُجْهَدَ
الْمَعِدَةُ فَتَكِلَ وَتَمْرَضَ

﴿ ٤٥ - فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ ﴾

مَشَافِرُ	ظَبَاتُ	يَتَسَرَّبُ	صَرَغِي
مُضْرَجُ	بَثُ	صَدَعُ	شَوْكَةُ
مِفْوَارُ	فُرْصَةٌ	تُكَلُّ	الْمُتَحَفِّزَةُ
يَذُودُ	عَرِينُ	الْأَسِنَّةُ	النُّلْمَةُ
الْدَّمَلُ			



فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِ كَانَتْ أَحْرَبُ
 نَاشِئَةً بَيْنَ النَّمِسِيِّينَ وَالسُّومَرِيِّينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا يَطْلُبُونَ
 اسْتِقْلَالَ بِلَادِهِمْ مِنْ أَيْدِي الْفَاصِبِينَ عَلَى مَشَافِرِ السُّيُوفِ
 وَضَبَاتِ الرِّمَاحِ فَهَاجَهُمُ النَّمِسِيُّونَ وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِمْ فِي
 وَفْعَةٍ سَمْبَاحٍ وَحَصَرُوهُمْ فِي أَجْمَةٍ كَثِيفَةِ الْأَشْجَارِ وَأَحَاطُوا
 بِهِمْ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمُ الْخُنَاقَ حَتَّى كَادَ الْيَأْسُ يُتَسَرَّبُ إِلَى
 نَفْسِهِمْ الْبَاسِلَةِ الْمُسْتَمِيتَةِ فِي سَبِيلِ خَلَاصِ الْوَطَنِ
 وَافْتِدَائِهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ وَالْأَنْفُسِ وَكَلَّمَا خَرَجَ نَفَرٌ
 مِنْهُمْ يَهْجُوزُ الْمَدْوَّ وَقَعُوا صَرْعَى عَلَى رُءُوسِ الرِّمَاحِ

الْمَصْفُوفَةِ مُضَرَّجِينَ بِدِمَائِهِمُ الزَّكِيَّةِ وَأَرْوَاحَهُمُ الْبَرِيَّةِ
تَشْكُو إِلَى اللَّهِ بِنِّهَا وَبَلَّوَاهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ

وَلَمَّا ضَاغَتْ بِهِمُ الْحِيلُ فِي صَدْعِ صُفُوفِ النِّمَسَوِيِّينَ
وَكَسَّرَ شَوْكُهُمْ بَرَزَ وَنَكَلَ يَدُ السَّوْمَرِيِّ مِنْ بَيْنِ
مُؤَاطِنِيهِ وَصَاحَ بِهِمْ صَبْحَةَ شَهْمٍ مِغْوَارٍ أَنْ اتَّبِعُونِي أَفْسَحَ
لَكُمْ فُرْجَةً فِي صُفُوفِ الْعَدُوِّ فَتَنَكَّلُوا بِهِمْ تَنَكُّبًا
وَخَرَجَ يَعْدُو مُسْتَقْبِلًا نِلْمَكَ الرِّمَاحِ الْمُتَحَفِّزَةِ لِإِعْدَائِهِ
وَوَتَّبَعَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَثْبَةً لَأَيْتِ يَدُودٍ عَنْ عَرِيْنِهِ
وَقَبَضَ بِيَدَيْهِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ الْأَسِنَّةِ فَأَخْرَقَتْ صَدْرَهُ
وَمَزَقَتْ فَوَادَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْفَلْ بِمَا أَتَتْهُ مِنَ الْأَلَامِ
وَلَبِثَ قَابِضًا عَلَى الرِّمَاحِ يُمَكِّنُهَا مِنْ صَدْرِهِ وَخَرَّ بِهَا عَلَى
الْأَرْضِ فَأَقْبَلَ مُؤَاطِنُوهُ عَلَى نِلْمِكَ الثُّلَمَةِ فِي صُفُوفِ
الْأَعْدَاءِ وَأَشْبَعُوهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا وَتَهْنِئًا

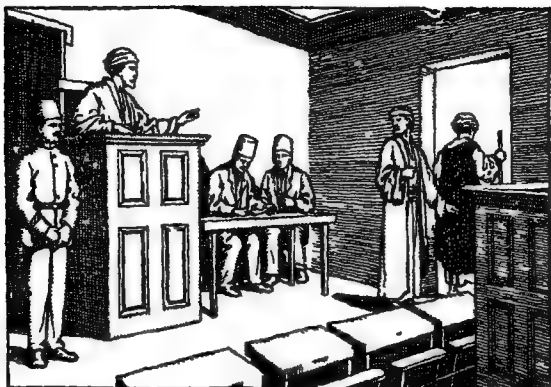
فَأَضْطَرَبَتْ تِلْكَ الصُّفُوفُ وَارْتَعَبَ الْمَسْكُورُ وَخَلَرَ

بِأَسْهُمٍ وَأَخْتَلَّ نِظَامُهُمْ وَأَتَقَلَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ لَا ذُوا
بِأَذْيَالِ الْفِرَارِ خَوْفًا مِمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْذَمَارِ
« وَكَمْ مِنْ قِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ قِتَّةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ
مَعَ الصَّابِرِينَ » فَأَنْتَصَرَ السُّوسَرِيُّونَ الْأَبْطَالُ وَمُتَعُوا
بِالْحُرِّيَّةِ وَالْإِسْتِقْلَالِ بَعْدَ أَنْ بَدَّلَ نَظَامَهُمْ وَنَكَلَرِيذُ
حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَمَاتَ شَهِيدَ الْإِخْلَاصِ

﴿ ٤٦ ﴾ - ذِكَاةُ الْقَاضِي *

الْأَدِيَاخُ	عَرَا	يُبُلُّ	الْأَرِثُ
يُخْفَرُ	يُدَلِّسُ	مُنَكِّرُ	يُسَبِّرُ
فِرْيَةٌ	فَيْدُ	مَهْمٌ	

إِسْنَأَجَرَ أَحَدُ النُّجَّارِ جَمَّالًا يَحْمِلُ لَهُ بِضَاعَةً نَفِيسَةً
مِنَ الْحَرِيرِ وَالْأَدِيَاخِ اشْتَرَاهَا مِنْ حَلَبَ لِيَنْجَرَ بِهَا فِي
إِسْتَنْبُولَ وَاتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى كِرَاهِ مَعْدُودٍ وَسَارَ الرُّكْبُ
يَقْطَعُ الطَّرِيقَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا



وَبَعْدَ مَسِيرَةٍ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ عَرَا التَّاجِرَ مَرَضٌ شَدِيدٌ
 اضْطَرَّهُ إِلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الرِّكْبِ وَالتَّرِثِ فِي أَقْرَبِ
 قَرْيَةٍ يَتَمَرَّضُ فِيهَا حَتَّى يُبَلَّ فَوَصَّى أَجْمَلًا بِمَتَاعِهِ وَأَذِنَ لَهُ
 بِمُتَابَعَةِ السَّيْرِ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَأَنْتَظَرَهُ فِي إِسْتَبْنُولٍ
 إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِهِ

وَمَا كَادَ أَجْمَلٌ يَبْلُغُ ذَلِكَ الْمَكَانَ التَّقْصِيَّ حَتَّى
 وَسَّوسَ الشَّيْطَانُ فِي صَدْرِهِ وَسَوَّلَتْ لَهُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ
 بِالسُّوءِ أَنْ يَخْفِرَ ذِمَّتَهُ وَيَنْقُضَ عَهْدَهُ وَيَحْوَنَ مَنْ ائْتَمَنَهُ

فَبَاعَ الْبِضَاعَةَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَغَيَّرَ اسْمَهُ وَلَبَّوسَهُ
وَأَدَّعَى أَنَّهُ تَاجِرٌ لِيُدْلِسَ عَلَى النَّاسِ وَلِكَيْلَا يَهْتَدِيَ
التَّاجِرُ إِلَيْهِ مَتَى حَضَرَ وَجَدَّ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ وَلَمَّا قَدَّمَ التَّاجِرُ
إِلَى الْمَدِينَةِ طَلَبَ الرَّجُلُ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ فَطَفِقَ
يَطُوفُ أَنْحَاءَهَا لَعَلَّهُ يَلْقَاهُ بِإِلْصَافَةٍ فَرَأَاهُ فِي الطَّرِيقِ
مُتَنَكِّرًا مُسْتَخْفِيًا فِي زِيِّ الثُّجَّارِ فَأَمْسَكَ بِتَلَايِيهِ
وَأَسْتَصْرَحَ وَأَسْتَفَاتَ فَأَقْبَلَ رِجَالُ الشَّرْطَةِ وَسَاقَوْهَا
إِلَى الْقَاضِي وَهَنَّاكَ فَصَّ التَّاجِرُ قِصَّتَهُ فَأَنْكَرَهَا الْجُمَلَاءُ
وَقَالَ إِنَّهَا فِرْيَةٌ كَاذِبٍ مُحْتَالٍ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِبَ مَا مَعَهُ مِنَ
الْمَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَى التَّاجِرِ الْمَسْرُوقِ بَيِّنَةٌ يُقِيمُ بِهَا
حُجَّتَهُ عَلَى غَرِيمِهِ وَأَذْرَكَ الْقَاضِي مِنْ خِلَالِ الْحَدِيثِ أَنَّ
الْهَيْمَةَ صَاحِبَةُ فَصَّمَّ عَلَى أَنْ يَسْبُرَ الْمَسْأَلَةَ بِالْحِيلَةِ
وَالْدَهَاءِ فَأَمَرَ الرَّجُلَيْنِ بِالْإِنْصِرَافِ مِنْ أَمَاكِهِ حَتَّى إِذَا
مَا أَبْتَدَاعَتْهُ فَيَدْفَعُ صَبَّةً صَاحَ عَلَيْهِمَا « يَا جَمَلٌ » ، فَالْتَفَتَ

ذَلِكَ أَخْثُونُ الْمُتَشَكِّرُ وَقَالَ « مَهْمٌ » فَقَامَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ وَأُجْبِرَ عَلَى رَدِّ الْمَالِ إِلَى صَاحِبِهِ وَنَالَ
شَدِيدَ الْعِقَابِ جَزَاءَ مَا اقْتَرَفَ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالْعُدْوَانِ

﴿ ٤٧ - آيَاتُ الْوَفَاءِ ﴾

إِبَانٌ يَلْجَأُ أَهْدَابُ مَأْوَى
هَلَعٌ رَوْعٌ

مِنْ عَجَائِبِ مَا يُؤَثِّرُ إِبَانٌ فَتَحِ الْأَنْدَلُسِ أَنْ شَابَا
إِسْبَانِيَا أَعْتَدَى عَلَى آخَرٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ وَقَتَلَهُ ثُمَّ فَرَّ
هَارِبًا حَتَّى أَتَاهُ إِلَى بُسْتَانٍ فَارْتَأَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ
فَدَخَلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ شَيْخًا جَلِيلًا قَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ
فَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِ لِيُجِيرَهُ مِنْ أَذَى أَعْدَائِهِ

جَاءَهُ الرَّجُلُ إِلَى مَأْوَى مُنْقَرِدٍ وَخَبَّاهُ فِيهِ وَبَعَثَ
ذَلِكَ عَلَا الصِّيَاحُ بِفِنَاءِ الْبُسْتَانِ وَدَخَلَ قَرْنٌ مِنَ النَّاسِ
يَحْمِلُونَ الْقَتِيلَ فَنَظَرَهُ الشَّيْخُ فَوَجَدَهُ ابْنَهُ وَاعْتَقَدَ أَنَّ



ذَلِكَ الشَّابُّ الَّذِي اخْتَبَأَ لَدَيْهِ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ فَأَخَذَ
 مِنْهُ الْأَمْسَى كُلَّ مَا خَذَ وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَسَكَنَ
 بَجَاشَةً وَأَنْزَوَى فِي إِحْدَى حُجُرَاتِ بَيْتِهِ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ
 وَهَدَّاتِ الْأَصْوَاتُ ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ عَلَى الْفَقَى وَنَبَّأَهُ
 بِالْأَمْرِ فَلَمَّا وَعَى الْفَقَى قَوْلَهُ هَلَعَ فُؤَادُهُ وَرَأَى الْمَوْتَ
 عَيْنَانَا فَأَخَذَ الرَّجُلُ يَوْمِنُهُ وَيَهْدِي رَوْعَهُ حَتَّى سَرَى هَمُّهُ
 ثُمَّ قَالَ لَهُ «مَا كُنْتُ لِأَخْفَرَ ذِمَّتِي وَأَتَقْضَ عَهْدِي وَلَكِنِّي
 لَا أَمْنُ أَنْ يَجِيءَ قَوْمِي وَيُسَيِّئُوا إِلَيْكَ تُفْخَذُ مَوْوَنَةُ سَفَرِكَ
 وَأَرْحَلَ عَنِّي وَاللَّهِ الْبَارِئُ وَلِيَّ أَمْرِي»

﴿ ٤٨ - وَصَفُ مِصْرَ ﴾

دَاهِيَةٌ	أَسَاطِينُ	إِمْتِشَاقُ	رِبْقَةٌ
يَسُومُونَ	الْخَسْفُ	الْأَفَاقُ	إِسْتَنْبَ
غَبْرَاءُ	أَعْفَرُ	عَجَاجُ	نَكَصَ
طَلَى	الرَّايِيَّةُ	زَبَرْجَدَةٌ	صَنَادِيدُ

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بَطَلٌ مِفْوَارٌ مِنْ صَنَادِيدِ قَوَادِ
 الْمُسْلِمِينَ وَدَاهِيَةٌ مِنْ أَسَاطِينِ السِّيَاسَةِ الْمُجَرَّبِينَ أَوْفَدَهُ
 سَيِّدُنَا عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ لِيَفْتَحَ مِصْرَ فَنَلْقَاهُ أَهْلُهَا الْقَبِيطُ
 بِغَيْرِ إِمْتِشَاقِ الْخَسَامِ طَمَعًا فِي الْخِلَاصِ مِنْ رِبْقَةِ جَوْرِ
 الرُّومِ الَّذِينَ كَانُوا يَسُومُوهُمْ صُنُوفَ الْخَسْفِ وَالْعَذَابِ
 لِأَنَّ صِيَتَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ قَدْ طَبِقَ الْأَفَاقَ بِمَا سَرَى فِي
 نَفُوسِهِمْ مِنَ اتَّقْوَى وَمُعَامَلَةِ النَّاسِ عَامَّةً بِالْعَدْلِ
 وَالْإِنصَافِ وَلَمَّا اسْتَنْبَ لَهُ الْحُكْمُ فِي أَرْضِ مِصْرَ
 كَتَبَ إِلَى عَمَرَ كِتَابًا يَصِفُهَا بِهِ فَقَالَ

« مِصْرُ ثَرْبَةٍ غَبَرَةٍ وَشَجَرَةٍ خَضْرَاءَ طُولُهَا شَهْرٌ
وَعَرْضُهَا عَشْرٌ يَكْتَنِفُهَا جَبَلٌ أَغْبَرُ وَرَمْلٌ أَغْفَرُ يَخْطُ
وَسَطَهَا نَهْرٌ مِمْوْنٌ الْغَدَوَاتِ مُبَارَكُ الرُّوحَاتِ يَجْرِي
بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ كَجَرَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ تَطْهَرُ
بِهِ عُيُوفُ الْأَرْضِ وَيَتَأَيَّمُهَا حَتَّى إِذَا أَصْلَحَ عَجَاجُهُ
وَتَمَطَّتْ أَمْوَاجُهُ لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى
بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ الْقَوَارِبِ وَصِغَارِ الْمَرَاكِبِ فَإِذَا
تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكْصَرَ عَلَى عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ
فِي شِدَّتِهِ وَطَمَى فِي حَدِيثِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُخْرِجُ الْقَوْمَ لِيَحْرُقُوا
بُطُونَهُمْ أَوْ دِيْنَتَهُ وَرَوَايَةٌ يَنْدُرُونَ الْحَبَّ وَيَرْجُونَ الثَّمَارَ
مِنَ الرَّبِّ حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ النَّدى
وَعَذَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُ حِلَابُهُ وَيُنْسِي
ذُبَابُهُ فَيَنْتَمَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةٌ يَبْضُكُ إِذْ هِيَ
هَبْرَةٌ مَوْدَاهُ فَإِذَا هِيَ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ فَتَعَالَى اللَّهُ

الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ ،

﴿ ٤٩ - وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

الْأَنْعَامُ جَائِرٌ تُسِيمُونَ ذَرَأٌ
مَوَاحِشُ تَمِيدُ جَرَمٌ

« وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ
وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ
قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَآوْشَاءٌ لِّهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ
الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
فِيهِ تُسِيمُونَ يُبْثِثُ لَكُمْ فِيهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
لِنَاكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَاسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا
وَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا لَكُمْ
تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا
وَسُبُلًا لِّمَعَالِكُمْ يَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا
وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

(القرآن الكريم)

« ٥٠ - الْفَرَجُ بَعْدَ الْيَأْسِ »

جُلُجُ الْهُوَاجِسُ شَبَحُ يَجِيشُ
الْقُنُوطُ اللَّفَى الْمَيْمُونُ الْمَدُّ

الْمَخَاضَةُ قُفُولُ الْعَرَاءِ تَرَبَّصَ الْجَذْرُ

خَرَجْتُ يَوْمًا لِلزَّهَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَسَاقَنِي

الْقَدَرُ جِهَةَ الشَّمَالِ الْغُرْبَى وَأَنَا غَارِقٌ فِي جُلُجِ الْهُوَاجِسِ

وَالْهُمُومِ وَإِذَا الْبَحْرُ كَأَنَّهُ انْفَلَقَ وَتَجَلَّى عَلَى ظَهْرِهِ شَبَحُ

قَارِبٍ مَقْلُوبٍ نَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الْخِيَالُ قَدْ لَبَّ بِبَصَرِي

وَجَعَلَهُ يَرَى مَا كَانَ يَجِيشُ فِي خَاطِرِي وَتَصَبَّوْا إِلَيْهِ نَفْسِي

وَلَوْ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ لِأَنَّ شِدَّةَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ حَمَلَتْنِي عَلَى

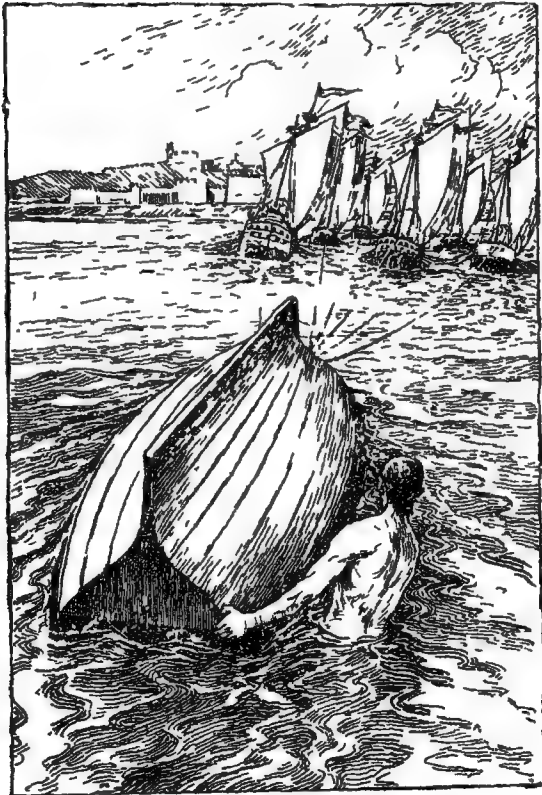
الْجَزْمِ بِأَنَّ تِلْكَ الْأَمْوَاجَ الْقَاسِيَةَ الَّتِي كَانَتْ السَّبَبَ فِي

تَسِيرِ وَشَقَائِي لَا تَحْمِلُ إِلَى سَفِينَةِ النِّجَاةِ غَيْرَ أَنَّ الْأَمَلَ

كَثِيرًا مَا تَسَلَّطَ عَلَى النُّفُوسِ الْيَائِسَةِ فَأَنْتَشَلَهَا مِنْ مَهَاوِي

الْقُنُوطِ وَجَاشَ فِي صَدْرِي تِلْكَ السَّاعَةُ ذِكْرِي بِلَادِي

وَزَوْجِي وَأَوْلَادِي فَأَنْزَعْتُ ثِيَابِي وَخُضْتُ فِي الْمَاءِ
كَأَنِّي أَسَاقُ الرِّيحَ وَكَلَّمَا ابْتَعَدْتُ عَنِ الشَّاطِئِ أَزْدَادَ



تَجَسَّمُ السَّبَحَ وَأَفْرَابُهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَيَدْفَعُنِي تَوْفَعُ
 الْفَرَجِ إِلَى الْجَزَى نَحْوَ ذَلِكَ اللَّفَى الَّذِي لَا يَقُومُ وَأَخِيرًا
 أَزْدَادَ الْبَحْرِ عَنْ قَامِي فَأُطْرَحْتُ عَلَى ظُهُورِ الْأَمْوَاجِ
 أَسْبَحُ بِمَا تَجَدَّدَ فِي مِنْ قُوَّةٍ وَنَشَاطٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى
 الْقَارِبِ الْمَيُّونِ وَدُرْتُ حَوْلَهُ اخْتِيرُ مَنَاتَهُ فَالْفَيْتَهُ
 سَلِيمًا مِنَ الْعَطَبِ فَدَفَعْتُهُ أَمَامِي وَأَنَا سَابِحٌ يُسَاعِدُنِي
 تَيَّارُ الْمَدِّ بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ حَتَّى بَلَغْتُ بَدْءَ
 الْمَخَاضَةِ فَوَقَفْتُ عَلَى قَدَمِي أَجْدِدُ الْقُوَّةَ وَالنَّشَاطَ ثُمَّ
 وَاصَلْتُ السَّيْرَ وَالْقَارِبُ خَلْفِي أَسْحَبُهُ حَتَّى أَحْنَكَ بِقَعْرِ
 الْبَحْرِ فَتَرَبَّصْتُ أَنْتَظِرُ قُفُولَ الْمِيَاهِ بِالْجَذْرِ فَتَبْقَى سَفِينَتِي
 بِالْعَرَاءِ وَحِينَئِذٍ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَسْتَعِينَ بِالْمَلَّاحِينَ وَالْعَمَالِ
 فِي جَذَبِهَا إِلَى السَّاحِلِ

(رحلات جلفر)

﴿ ٥١ - الرَّخَامُ ﴾

الرَّدَهَاتُ الْمُوِيرُ أَنْصَابُ نُصْبُ
مَقَاطِيعُ النَّاصِعُ الْآكَامُ الْأَخَادِيدُ
وَعِرَةٌ تَعَانِي وَخَزٌ مَنَاحِسُ
عِقَابٌ يَنْسِفُونَ الْبُقُوقُ

تُرَى الرَّدَهَاتُ فِي جَامِعِ الْقَلْعَةِ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ
الْمَسَاجِدِ وَفِي دُورِ الْمُوِيرِينَ مَبْلُطَةٌ بِحِجَارَةٍ يَنْضَاءُ
حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ وَتُرَى عَلَى سَطْحِهَا عُرُوقٌ بَعْضُهَا مُنْحَنٍ
وَالْبَعْضُ مُسْتَقِيمٌ أَوْ مُنْكَسِرٌ

هَذَا الْحَجَرُ هُوَ الرَّخَامُ وَيُؤْتَى بِأَحْسَنِهِ مِنْ بِلَادِ
الطَّلِيانِ الَّتِي فِيهَا أَخْزُرُ كُنُوزِ الصَّنَائِعِ الرَّخَامِيَّةِ مِنْ
أَنْصَابٍ بَدِيعَةٍ رَائِعَةٍ وَنُصْبٍ عَلَى الْقُبُورِ فَاخِرَةٍ وَتَمَائِيلٍ
مُتَقَنَةٍ تَذَكَّارًا لِلْمُلُوكِ وَالْأَبْطَالِ وَخُلُوفِ الشُّرَكَاءِ وَكِبَارِ
الْعُلَمَاءِ



وَأَكْبَرُ مَقَاطِعِ الرُّخَامِ الْأَيْضُ النَّاصِعِ وَأَشْهَرُهَا
مَقَاطِعُ كِرَارَةِ الَّتِي تَكْتَنِفُهَا إِلَّا كَأَمْ الرُّخَامِيَّةُ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ فَتُكْسِبُهَا أَجْمَالًا فِي مَنْظَرِهَا وَتُوجَدُ لِأَهْلِهَا
عَمَلًا يَرْتَفِقُونَ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَأَكْثَرُ أَهْلِ كِرَارَةِ
يَعْمَلُونَ فِي الرُّخَامِ بَعْضُهُمْ يَقْطَعُهُ وَالْبَعْضُ يَنْحَتُهُ
وآخَرُونَ يَنْقُلُونَهُ عَلَى عَجَلَاتٍ ضَخْمَةٍ يَجْرُهَا عَمَالِيَّةٌ مِنَ
الْبُيْرَانِ فَأَكْثَرُ عَلَى قَدَرِ ثِقَلِ الْقِطْعَةِ الْمَحْمُولَةِ وَتَجْرَى

الْعَجَلَاتُ فِي أَوْدِيَةٍ كَثِيرَةٍ الْأَخَادِيدِ مَمْلُوءَةٌ طُرُفُهَا
بِالرِّمَالِ وَالْحِجَارَةِ الَّتِي تَجْمَلُهَا وَعِرةٌ جِدًّا حَتَّى أَنَّهَا كَثِيرًا
مَا تَكُونُ سَبَبًا فِي هَلَاكِ النَّيرَانِ مِنْ جَهْدِ مَا تَمَانِيهِ فِي
جَرِّ الْعَجَلَاتِ وَمَا تُلَاقِيهِ مِنْ سَائِقِيهَا الْقُسَاةِ الْغِلَاطِ
الْقُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ عَنْ ضَرْبِهَا وَوَخْزِهَا بِمَنَاحِسِهِمْ
الضُّخْمَةِ ذَاتِ الْأَسِنَّةِ الْخَادَةِ الَّتِي كَثِيرًا مَا يَدْخُلُونَهَا
فِي مَنَاحِرِهَا لِيُكْرِهُوْهَا عَلَى الدَّوْحِ حَتَّى فِي عِقَابِ الْآكَامِ
وَيَسْمَعُ الصَّاعِدُ عَلَى آكَامِ كِرَاوَةِ صَوْتِ الْبُوقِ الَّذِي
يُنْذِرُ الْعَمَلَةَ بِقُرْبِ انْفِجَارِ الْبَارُودِ الَّذِي يَنْسِفُونَ بِهِ
الصَّخْرَ فَتَنَى انْفِجَارُ رُيْتِ قِطْعِ الْأَحْجَارِ تَتَطَاوَرُ فِي
أَجَلٍ إِلَى عُلُوِّ عَظِيمٍ

﴿ ٥٢ - وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

بَسَطَةُ أَحْمَلِ الصُّغْعُ الْقَحْطُ
الْلاِزِبَةُ الْمَنِيةُ التَّمْفُ الْإِبْتِدَالُ أَتَمَفْ

بِمَا يُرَوَّى لِذَوِي الْأَثْبَةِ الْمُسْتَيْقِظَةِ مَا سَمِعَ فِي
 حَدِيثٍ عَنْ بَعْضِ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ حِينَ تَمَّتْ نِعْمَتُهُ
 وَاتَّسَعَتْ بَسْطَتُهُ وَتَقَدَّتْ فِي دَوْلَةِ خَدُومِهِ كَلِمَتُهُ أَنَّهُ سُئِلَ
 يَوْمَ مَا الَّذِي أَوْصَلَكَ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنَ الْمَلِكِ حَتَّى
 أَلْحَقَكَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ بِمُخَاصِرَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ
 إَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا أَخْلَجَ هَذَا الصَّقْعُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ الَّتِي
 سَمِعْتُ بِهَا فِي عَامِ الْقَحْطِ وَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَاشْتَدَّتْ
 اللَّازِبَةُ وَصَاقَ الْأَمْرُ وَكَثُرَ الْجُوعُ وَاسْتَوَى فِي الشَّدَةِ
 الْمَقْلُ وَالْمُسْكَنُ وَتَقَدَّتْ ذَخَائِرُ الْأَغْنِيَاءِ وَسَحَبَتْ
 الْمَنِيَّةُ ذَيْلَ الْهَلَاكِ عَلَى الضُّعَفَاءِ بَقِيَتْ أَنَا وَأَهْلِي أَيَّامًا
 فِي قَبْضَةِ الْجُوعِ وَالْحَاجَةِ وَالْقِلَّةِ فَدَعَتِ الضَّرُورَةُ
 إِلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْمَلِكِ وَرِيْقَةً لَطِيفَةً وَكَانَ ذَا مِيلٍ
 إِلَى الْفَضْلِ وَرِعَايَةِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَيْهِ وَمِمَّا قُلْتُ
 إِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ فَاقَةٌ أَنْطَقَتِ التَّعَفُّفَ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ

بِالْمَسْأَلَةِ وَأُحْبِبَّتْ أَهْلَ لُصِيَانَةٍ إِلَى تَحْمِلِ ذَلِكَ الْإِتِّدَالِ
وَقَدْ وَقَعَ فِي النَّفْسِ أَنْ فِي رَأْفَةِ الْمَلِكِ مَا يَكْشِفُ ضُرًّا
وَيَسْتَرْقُ حُرًّا وَيَسْتَوْجِبُ عَلَى الْإِبْدِ حَمْدًا وَشُكْرًا
وَحَتَمَتْهَا بِقَوْلِي

فَإَمْنُنْ بِمَا يُغْنِي وَيُثْمِرُ دَائِمًا

حَمْدًا يَدُومُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ
فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا وَقَعَتْ مِنْهُ بِمَوْجِعٍ فَأَرْسَلَ غُلَامًا
عَلَى يَدِهِ مَادَفَعَ الْحَاجَّةَ فَكَتَبْتُ عَلَى يَدِ الْغُلَامِ كِتَابَ
شُكْرِ لِمَا وَقَفَ عَلَيْهِ أَطْرَبُهُ وَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ أَهْلٌ
لِلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا شُكْرُهُ لِلْقَلِيلِ مِنْ بَرِّ نَا
فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا أَنْحَفْنَا بِإِنْعَامِنَا وَالْحَقْنَاهُ بِخَوَاصِنَا
فَأَسْتَدْعَانِي وَخَصَّنِي بِلَطَائِفِ بَرِّهِ وَفَعَلَ بِي مَا رَأَيْتَ
بَعْضَ أَثَرِهِ فَبَذَلْتُ لَهُ مَا فِي وَسْعِي وَجَهْدِي مِنْ مُنَاصَحَةٍ
وَسَعْدٍ وَشُكْرِ وَخِدْمَةٍ وَحَدَّرْتُ بَيْنَ يَشْكُرُ أَنْ يَشْمَلَهُ

الْمَزِيدَ فَإِنَّ رَبَّ الْعَزْدِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عَنِ
 الْعَالَمِينَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِكَثْرَةِ شُكْرِهِمْ وَلَا يَضُرُّهُ زِيَادَةُ
 كُفْرِهِمْ قَدْ بَدَلِ الْمَزِيدَ لِمَنْ شَكَرَ وَأَعَدَّ الْعَذَابَ
 الشَّدِيدَ لِمَنْ كَفَرَ فَقَالَ تَعَالَى ۖ وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ
 لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۖ فَمَا ظَنُّكَ
 بِالْإِنْسَانِ الَّذِي يَسْتَمِيلُهُ شَرُّ أَشْكَرٍ وَيُطْرِبُهُ ذِكْرُ
 الْحَمْدِ

(المقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ٥٣ - الْحَرْبُ ﴾

حُسَيْدٌ	كِتَابٌ	السَّوَارَى	رَهْطٌ
أَبَاطِطُ	فَسْطَلٌ	السَّرَابُ	ثَاكِلٌ
عِبَابٌ	الْفُغُوبُ	مُهَيِّمٌ	هَامَةٌ
تَرْعٌ	نَشْوَانٌ	الطَّلَى	ثَاكِلٌ

وَمَوَاكِبُ كَالسَّيْلِ أَوْ كَاللَّيْلِ قَدْ
 حُشِدَتْ بِسَهْلٍ حَوْلَهُ هَضْبَاتُ
 وَكُنَائِبُ كَبَوَارِجٍ أَعْلَامُهَا
 عَمَدُ السَّوَارِي وَالْقَنَا الْمُرْسَاةُ
 سَاكَنَاتُ بِكَثْرَتِهَا الْأَبَاطِخُ مِثْلًا
 سَاكَنَاتُ بِرَهْطٍ حَبِيبِهَا عِرْفَاتُ
 أَصْوَاتُهَا رَعْدٌ وَلَمْعُ نِصَالِهَا
 بَرْقٌ وَقَسْطَلُ جَوَاهِرِهَا ظُلُمَاتُ
 وَالْبَرْقُ بِمَحَرٍّ وَالسَّرَابُ عِبَابَةٌ
 وَالرَّكْبُ سَفْنٌ وَالرُّبَى مَوْجَاتُ
 أَمْسَتْ فَغَيَّبَهَا الظُّلَامُ بِحُجُوفِهِ
 وَبَدَأَ سُكُونٌ طَيْبُهُ حَرَكَاتُ
 أَلْقَى اللُّغُوبُ عَلَى الصَّعِيدِ هَيَاكِلًا
 قَدْ كَهَرَتْهَا بِالْكَرَى نَسَمَاتُ

حَتَّىٰ إِذَا نَصَبَ الصَّبَاحُ صُمُودَهُ
 وَاللَّيْلُ شَقَّتْ حُجَّتَهُ لَمَكَتْ
 هَوَاتِ الرِّجَالِ عَلَى الرِّجَالِ كَأَنَّهُمْ
 قُلُلُ الْجِبَالِ مَتُونُهَا الصَّهَوَاتُ
 وَتَمَاقَتَ فَوْقَ السَّوَادِ بِيضُهُمْ
 تَحْتَ الْمَرَاهِ كَأَنَّمَا غَدَاةُ
 وَرَثَتِهِ سَمُرُ الْقَنَا نَشْوَانَةٌ
 بِدَمِ الطَّلَى فَتَزَحَزَحَتْ هَلَمَكَتْ
 وَتَطَايَرَتْ نَحْوَ الْفَضَاءِ كَأَنَّمَا
 شُهْبٌ وَضُوضَاءُ الْوَغَى صَعَقَاتُ
 وَتَبَعَثَرَتْ فَوْقَ الْوِهَادِ فَرَائِسُ
 عَلِقَتْ عَلَيْهَا أَنْسَرُ وَبُرَاهُ
 فَالْأَسَدُ ثَوْلُومٌ وَالْجَوَارِحُ تَغَنَّدِي
 وَالْأَرْضُ تَحِيَا وَالْوَرَى أُمُوتُ

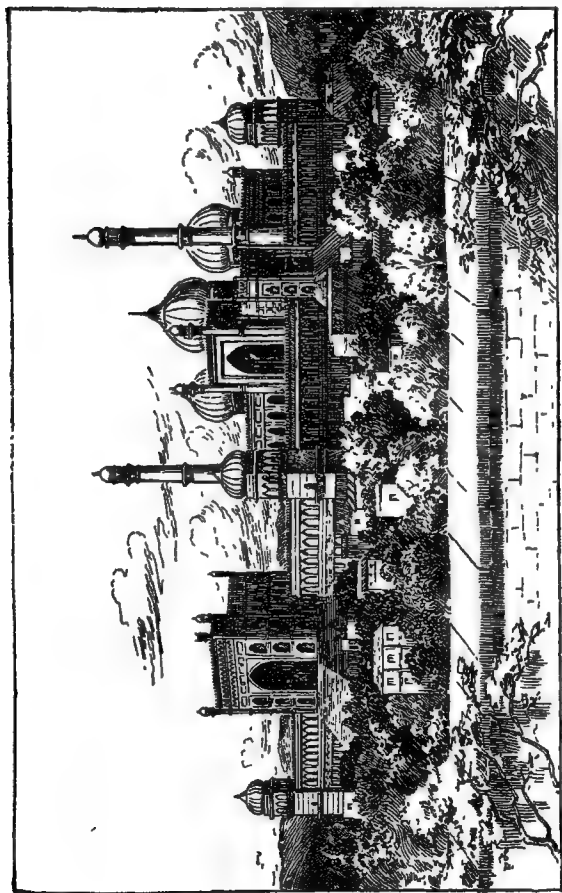
وَأَجْهَلُ يَسْخَرُ وَالصَّوَابُ مُهَيِّمٌ
وَالْجَنْدُ تَهْرُ وَالْمُلُوكُ غَفَاةٌ
وَالْمَقْلُ يَبْكِي وَالطَّبِيعَةُ تَأْكُلُ
وَالْدَّهْرُ يَضْحَكُ وَالرَّذَى شِمَاتُ
سُبْحَانَ مَنْ تَخِذَ الْعَوَالِمُ مُصْحَفًا
فِيهِ لِكُلِّ غَرِيبَةٍ آيَاتُ
(سليم عنحوري)

﴿ ٥٤ - التَّاجُ مَحَلٌ ﴾

جَحْفَلُ الصَّارِمُ الْأَقْيَالُ عَاهِلُ
جَدَثُ بَاسِقُ رِجَاجُ طَاقُ
عَرَفُ دِحَالُ مَسْلُوفَةُ الرَّائِدُ
وَذَاذُ مَشَاكِ تَوَهَّجُ الْمَشَاكِلَةُ مَقْصُورَةُ
قُرْبَ بَدَاةِ الْقَرْنِ السَّائِعِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَغَارُ
جَحْفَلُ مِنْ مُسْلِمِي الْمُتَوَلِّ عَلَى الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ لِلْمُهَنْدِ

وَأَفْتَحَهُ عُنُودَ مُحَمَّدٍ الصَّامِ الْبَتَّارِ ثُمَّ أَمْسَدَ سُلْطَانُهُمْ
عَلَى سَائِرِ الْبِلَادِ الْهِنْدِيَّةِ الْعَلِيَا وَأَقَامُوا الْوَزْنَ بَيْنَ
النَّاسِ بِالْقِسْطِ فَفَزَّوْا النُّفُوسَ بَعْدَ التَّهْمِ كَمَا أُفْتَحَتْ
لِقُوَّتِهِمُ الْحُصُونُ وَالْقِلَاعُ وَسَابَقَ الْأَقْيَالُ وَالْأَمْرَاءُ
يَخْضَعُونَ لِسُلْطَانِ الْخَلْقِ الَّذِي مَدَّ ظِلَّهُ الْوُورِ
أَكْبَرَ خَانٍ حَتَّى أَضْحَى عَاهِلُ الْبِلَادِ الْهِنْدِيَّةِ بِأَسْرِهَا
وَلَقَدْ اُسْتَهْرَجَ جَيْهَانُ شَاهُ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْعَوَاهِلِ
بِسُدَّةٍ تَعَاقَبَ بِمَقِيلَتِهِ الَّتِي قَضَتْ نَجْبَهَا وَهِيَ فِي نُفْرَةِ
الشَّيْبَابِ سَنَةِ ١٣٦١ فَبَلَغَ مِنْهُ الْأَسَى مَبْلَغًا أُسْتَفْقَدَ
الصَّبْرَ وَعَزَّ عَلَيْهِ السُّلُوتَانُ وَقَضَى حَيَاتَهُ وَصَرَفَ هَمَّهُ فِي
تَمْجِيدِ أَسْنَمِهَا وَتَحْلِيدِ ذِكْرِهَا فَرَفَعَ عَلَى جَدِّهَا الْهَامِدِ
مَقْبَرَةً تَزْرَى بِبَاسِقِ الْقُصُورِ وَأَرْسَلَ وَفُودَهُ تَحُوبُ
الْآلَاقِ فِي طَلَبِ أَبْرَجِ الصَّنَاعِ حَتَّى جَمَعَ لَدَيْهِ عَشْرِينَ
أَلْفَ صَانِعٍ اُسْتَعْمَلُوا اِثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً وَأُتِّقَ فِي

تَشِيدُهَا مَا يُنْفِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَلَايِزٍ مِنَ الْجَنِينَاتِ

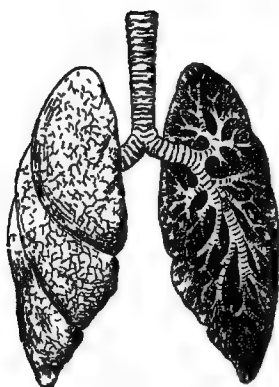


يُدْخَلُ إِلَى هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ بَلْ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ رِثَاجِ
صَنْحَمٍ شَامِخٍ الْبُنْيَانِ مِنَ الْحَجَرِ الْأَحْمَرِ الْمُرْصَعِ بِالرُّخَامِ
الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَفِي وَسْطِهِ طَاقٌ مُعْقُودٌ بِرِيدِهِ
نَخَامَةٌ وَرُوءَاءُ وَفِي دَاخِلِ سُورِهِ الْعَالِيِ الْبِنَاءِ بُسْتَانٌ فَسِيحٌ
الْأَرْجَاءُ قَدْ زَانَتْهُ الْأَزْهَارُ وَالرِّيَّاحِينَ بِيَاهِرِ أَلْوَانِهَا
وَعَطْرَتُهُ بَعِيقُ عَرْفِهَا وَتَبْلُغُ دِحَالُهُ الشَّاهِقَةَ إِلَى عَنَانِ
السَّمَاءِ وَأَفْنَانُهَا مُتَشَبِّكَةٌ مُتَعَايِقَةٌ كَأَنَّهَا رَمَزُ ذَلِكَ الْحَبِ
الطَّاهِرِ وَالْوَفَاءِ الصَّمِيمِ وَهِيَ مَنْظُومَةٌ فِي صَفَيْنِ عَلَى
جَانِبَيْ طَرِيقِ مَسْلُوفَةٍ وَأَمَامَهَا عِقْدُ فَوَارَاتٍ تَسْتَرْعِي
الرَّائِدَ بِخَرِيرِهَا وَتُنْدِيهِ بِرَذَاذِهَا وَالْبَيْغَاوَاتُ الْخَضِرَاءُ
تُمَازِجُهُ وَتَوَاسِيَهُ بِحَدِيثِهَا حَتَّى يَبْلُغَ الْحَاطِطُ الدَّاخِلِيَّ وَهُوَ
مَنْقُوشٌ بِصُورِ أَزْهَارٍ قَدْ طُعِمَتْ بِالْمَرَمَرِ النَّاصِعِ وَفِيهِ
مَشَاكِلُ تَبْنِي فِيهَا الْبَيْغَاوَاتُ عُشُّهَا وَفَوْقَ هَذَا الْحَاطِطِ قَدْ
فُرِشَ رَصِيفٌ مِنْ الرُّخَامِ يُصَدُّ إِلَيْهِ فِي سُلْمٍ مِنْ

الْمَرْمَرِ وَفِي طَرَفِي الرَّصِيفِ مَسْجِدَانِ شَاهِقَانِ مِنَ الْحَجَرِ
الْأَحْمَرِ الْمُرَصَّعِ بِالرُّخَامِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ لِكُلِّ مِنْهُمَا
ثَلَاثُ قِبَابٍ مِنَ الْمَرْمَرِ تَتَوَهَّجُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ كَأَنَّهَا
قَنَادِيلُ عَظِيمَةٌ مُضِيئَةٌ إِلَّا أَنَّ أَحَدَ الْمَسْجِدَيْنِ لَيْسَ
مُسْتَعْمَلًا لِأَنْحِرَافِهِ عَنِ الْقِبْلَةِ وَبُنِيَ عَلَى سَبِيلِ الْمَشَاكَلَةِ
فَقَطْ

وَفِي وَسْطِ هَذَا الرَّصِيفِ رَصِيفٌ ثَانٍ أَعْلَى مِنْهُ قَدْ
أُفِيَتْ أَرْبَعُ مِثْدَنَاتٍ عَلَى أَرْكَانِهِ الْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسْطِهِ
قُبَّةٌ بَاسِقَةٌ وَاسِعَةٌ تُحِيطُ بِهَا أَرْبَعُ قِبَابٍ صَغِيرَةٍ وَبَابُهُ طَاقٌ
عَالٍ مَنقُوشٌ بِضُرُوبِ الزُّخْرُفِ وَفُتُونِ الْحِلْيَةِ وَأَرْضُ
الْقُبَّةِ مِنَ الْفُسْفِسَاءِ الْمَنقُوشَةِ بِأَشْكَالِ عَرَبِيَّةٍ وَعَلَى
جُذُرِهَا آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَكْتُوبَةٌ بِالذَّهَبِ
الْإِزْنِ وَفِي وَسْطِ أَرْضِ الْقُبَّةِ مَقْصُورَةٌ فِيهَا الثَّابُوتُ
تَحْتَهُ الْمَهَابَةُ وَالْكَرِيمَةُ اللَّتَانِ نَسَجْتُهُمَا يَدُ الْمُحِبَّةِ وَالْوَفَاءِ

﴿ ٥٥ - مِيفَاخُ الْجَنَمِ ﴾



شَهِيقٌ زَفِيرٌ
آوَةٌ يَنْبِضُ
مُعْطِرَةٌ شَعْبٌ
كَدِيرٌ إِضْرَامٌ
أَذْرَانُ تُضَيُّ

يَنْبَسِطُ الصَّدْرُ وَيَنْقَبِضُ أَمَامَ عَيْنِ الرَّائِي مِنْ
التَّنَفُّسِ شَهِيقِهِ وَزَفِيرِهِ كَمَا يَنْبَسِطُ الْمِيفَاخُ وَيَنْقَبِضُ
فَيَمْتَلِئُ آوَةً مِنْ الْهَوَاءِ الدَّاخِلِ فِيهِ وَيَخْلُؤُ أُخْرَى بِخُرُوجِهِ
مِنْهُ وَتَسْتَمِرُّ وَتَتَوَاصَلُ هَاتَانِ الْحَرَكَتَانِ مَا دَامَ فِي
الْإِنْسَانِ عِرْقٌ يَنْبِضُ

وَلَيْسَ الْمِيفَاخُ فِي هَيْئَتِهِ إِلَّا مُمْتَلِئًا مِافَى الْجِسْمِ مِنْ
الْأَعْضَاءِ الْمَخْلُوقَةِ لِلتَّنَفُّسِ فَإِنَّ قَهْهُ وَأُنْبُوتَهُ يُمْتَلَانِ

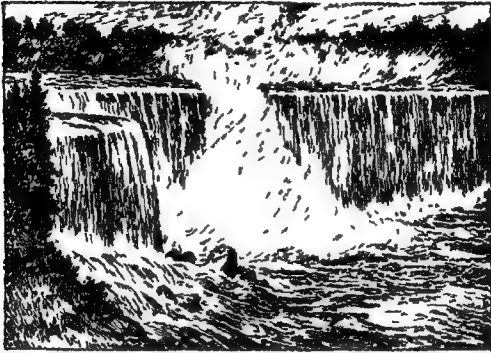
الْأَنفَ وَقَصَبَةُ النَّفْسِ الظَّاهِرَةُ فِي الْعُنُقِ وَجِسْمُهُ يُشَابَهُ
الرِّثْتَيْنِ الْمَنْصُوبَتَيْنِ فِي وَسْطِ الصَّدْرِ الَّذِي هُوَ عُلْبَةٌ
مِنْ فُضْبَانٍ مِنَ الْعِظَامِ أَسْمَاهَا الضُّلُوعُ يَدْنَاهَا عَضَلَاتُ
مَتِينَةٍ مُعْتَرِضَةٌ هِيَ آلَةُ ذَلِكَ الْإِنْسِاطِ وَالْإِتْقَابِضِ
وَتَتَفَرَّغُ قَصَبَةُ النَّفْسِ فِي وَسْطِ الصَّدْرِ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى
فَرْعَيْنِ يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا شُعْبٌ وَأَنَائِبٌ لَا يُخْصِيهَا
إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ تَحْوِطُهُ بِكَيْسَيْنِ مِنْ غِشَاءٍ فِي جَانِبِي الصَّدْرِ
يَمْنَةً وَيَسْرَةً هُمَا الرِّثْتَانِ وَفِي خِلَالِ هَذِهِ الْأَنَائِبِ
تَدْخُلُ الْعُرُوقُ الدَّقِيقَةُ بَعْضُهَا يَحْمِلُ دَمًا كَدِيرًا يَخْرُجُ
بِالْهُوَاءِ فَيَخْلُصُ بِمَا عَرَاهُ مِنْ دَوَائِعِ الْفَسَادِ وَيَعُودُ فِي
عُرُوقٍ أُخْرَى أَحْمَرُ صَافِي الْحُمْرَةِ فَيَنْزِلُ فِي الْقَلْبِ لِيُوزِعَهُ
عَلَى الْجَنْسِمِ وَكَلَّمَا كَثُرَ الْهُوَاءُ الدَّاخِلُ بِأَسْنِطَالَةِ النَّفْسِ
كَانَ الدَّمُ أَكْثَرَ صَفَاءً وَصِحَّةً وَلَا يَسْتَفْرِغُ أَحَدٌ مِنْ
أَنَّهُ فِي الْجَنْسِمِ آلَةٌ كَالْمِنْفَاحِ فِي هَيْئَتِهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْآلَةَ

تَعْمَلُ فِيهِ مَا يَعْمَلُ الْمِنْفَاخُ فِي إِضْرَامِ النَّارِ الَّتِي تُحْرَقُ
الْوُقُودَ وَتَحْتَاجُ لِذَلِكَ إِلَى الْهَوَاءِ وَلَوْلَا هَذَا الضَّرَامُ فِي
سَائِرِ الْبَدَنِ لَعَدِمَ حَرَارَتُهُ وَلَا صَبَحَ جُثَّةً بَارِدَةً هَامِدَةً
وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الْأَنْفِ عِدَّةً تُدْفِي هَوَاءَ الْمَوَاءِ وَتَنْقِيهِ
مِمَّا يَشُوْبُهُ مِنَ الْغُبَارِ وَالْأَذْرَانِ حَتَّى يَدْخُلَ الرَّئِيسُ
خَالِصًا سَلِيمًا يَخْنِي مِنْهُ الدَّمُ وَالْجَنُّمُ الْخَيْرَ الْجَزِيلَ وَلِذَلِكَ
كَانَ فِي النَّفْسِ بِالْقَمِ مَضَرَّةٌ تُسْقِمُ الْجَنَّمَ وَتُضْنِيهِ
تَحْذَارُ مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ

﴿ ٥٦ - جَنَادِلُ نَيْكَرَا ﴾

جَعْفَرُ	يَتَمَرَّجُ	صَلَادَةُ	الْجَنَادِلُ
يُرْغَى	يُرْبَدُ	الطَّامَةُ	تَلْقَاءُ
الرَّائِجُ	رَشَاشُ	الْصَيْبُ	الْمِذْرَارُ
الْمِزْجَلُ	بَاسِقَةٌ	الْكُثُودُ	حُطَامٌ

يَخْرُجُ فِي أَوْاسِطِ أَمْرِيْقَا الشَّمَالِيَّةِ جَعْفَرُ عَظِيمٌ



السَّعَةِ يَتَعَرَّجُ فِي سَبِيلِهِ وَيَنْتَحِي وَيَنْتَسِي مَتَخِيرًا سَهْلَ
لَبِقَاعٍ قَبْدَقُ فِيهَا وَيَشُقُّ نَهْرُهُ يَوْسَعُهُ وَيُضْفِقُهُ عَلَى
فَذَرِ الْمُتَقَاوِمَةَ الَّتِي يَلْقَاهَا بَيْنَ صَلَابَةِ الْأَرْضِ وَرِخَاوَتِهَا
وَصَلَادَةِ الصُّخُورِ وَلِبِنِهَا ثُمَّ يَنْتَفِخُ إِلَى بُحَيْرَاتٍ خَمْسٍ
أُولَاهَا عَلَى هَضْبَةٍ شَاهِقَةٍ يَنْهَارُ مَاؤُهَا عَلَى مَابَعْدَهَا خِلَالَ
الصُّخُورِ وَالْجُذُكُلِ فَيَدْوِي وَيُرْنِي وَيُزْبِدُ حَتَّى يَبْلُغَ
الْبَحِيرَةَ الرَّامَةَ وَهِيَ أَيْزَى وَهُنَاكَ الطَّامَةُ الْكُبْرَى
إِذْ هَوَى الْمَاءُ هَوِيَّارَ أَسِيَا مَسَافَةً ثَلَاثِينَ قَدَمًا بَيْنَ الْحَجَرِ

أَجْلُودٌ وَهُوَ يَتَدَافَعُ وَيَتَخَبَّطُ وَيَرَامِي حَتَّى يَصِلَ إِلَى
أَنْتَرِيُوخَامِسَةِ الْبُحَيْرَاتِ

وَإِنْ الشَّاهِدَ لِيَذْهَبُ تِلْقَاءَ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الرَّائِعِ
إِذْ يَرَى الْمِيَاءَ فِي فَرْ وَكَزٍ وَكِفَاحٍ وَزِيَالٍ وَصِرَاحٍ
وَرَشَاشٍ يَتَصَاعَدُ فِي الْجَوِّ فَيَلَاطُمُ كِبِدَ السَّمَاءِ وَيَهْوِي
ثَانِيَةً كَأَنَّهُ الصَّيْبُ الْمِدْرَارُ وَالزَّبْدُ يَتَلَاقَى وَيَتَجَمَّعُ
فَيَكُونُ رُكَامًا أَيْضًا وَأَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَخْلُطُ بِهَذَا
الْمِرْجَلِ الْفَاخِرِ النَّارِ فَتَنْحَلُّ أَلْوَانُهَا مَتَابَعَةً تَكَادُ
تَبْلُغُ مَبْلَغَ السِّحْرِ فِي تَأْثِيرِهَا فِي النُّفُوسِ وَأَخْذِهَا بِمَجَامِعِ
الْقُلُوبِ وَتُخْتَرِقُ هَذِهِ الْجُنَادِلَ مِنْ وَسْطِهَا جَزِيرَةٌ
خَضِرَاءُ بَاسِقَةٌ الْأَشْجَارِ تَقْسِمُهَا إِلَى جَنْدَلَيْنِ مُتَفَصِّلَيْنِ
أَحَدُهُمَا فِي كَنْدَا وَالثَّانِي فِي أَلْوِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَيَتَعَمَّرُ
عَلَى السُّفُنِ مَهْمَا بَلَغَتْ مِنْ مَتَانَةِ الصَّنْعِ أَنْ تَقْتَحِمَ هَذِهِ
الْعَقَبَةُ الْكَثُودَ بَلْ تُصْبِحُ حُطَامًا فِي أَقْلٍ مِنْ طَرَفَةِ عَيْنٍ

وَلَكِنْ رَغِمَ الْعِلْمُ أَبْجَازِمِ يَهْدِهِ النَّثِيجَةُ الْقَطِيعَةُ
 لَمْ تَخُلْ الْأَرْضُ مِنْ مُتَسِفِينَ اقْتَحَمُوا تِلْكَ الْعَقَبَةَ
 الْفَاتِكَةَ يُحَاوِلُونَ اجْتِيَازَهَا فَمَا قَضَوْا مِنْهَا وَطَرَهُمْ بَلَن
 قَضَتْ عَلَى حَيَاتِهِمْ بِمَا كَانُوا يُخَاطِرُونَ

﴿ ٥٧ - مَنْظَرُ بُسْتَانٍ ﴾

أُرِيحُ	الضَّوَاحِي	تَسْجُعُ	تَطْرِبُ
وَفَرَةٌ	تَسْتَفِرُّ	اسْتَيْعَابُ	مَوَّةُ
يَطَأُ	لَأَلَاءُ	الْحَصْبَاءُ	أَفْئَانُ
أَدِيمُ	كَاسِفُ	نَيْهٌ	—



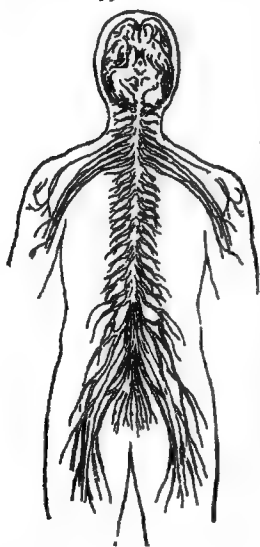
لَمْ أَرِ فِي الْحَيَاةِ مَنْظَرًا أَبْهَى وَأَجْمَلَ مِنْ حَدِيقَةِ غَنَاءِ
يَتَرَاوَحُ فِيهَا الْقُصْنُ عَلَى الْقُصْنِ وَيَمِيلُ وَتَنْشِيرُ الرِّوَايحُ
الزُّكَاةَ مِنْ أَزْهَارِهَا الْبَهِيَّةِ فَتَحْمِلُهَا الرِّيحُ عَلَى أَجْنَحِهَا
أَخْفِيَةً وَتُعْطِرُ بِأَرْيَجِهَا لَهْوَاءَ اللَّيْلِ وَتَضُمُّ فِي صَوَاحِبِهَا
آيَاتِ الْجَمَالِ فَتَقْرَأُ بِهَا الْعُيُونُ وَتَسْتَقِرُّ لِمَا يَجْنِدُهَا مِنْ
زَاهِي اللَّوْنِ وَبَدِيعِ التَّنْسِيقِ وَتَسْجَعُ الْبَلَابِلُ وَتُطَرَّبُ
الْأَطْيَارُ وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى الْأَغْصَانِ مُتَوَارِيَةً عَنِ الْعِيَانِ فِي
خِلَالِ الْأَوْرَاقِ فَتَهْتَرُ لِسَامِعِهَا الْقُلُوبُ وَتُسْنَفُ الْأَذَانُ
وَتَتَدَلَّى الْفَوَاكِهُ وَالْأَثْمَارُ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَوَفَرَةٍ
ضُرُوبِهَا وَتَتَدَانِي مِنْ أَيْدِي الْقَاطِفِينَ كَأَنَّهُمْ تَسْتَفِزُّهُمْ إِلَى
اسْتِيعَابِهَا بِالْأَيْدِي كَمَا مَتَّعُوا مِنْهَا الْأَنْظَارَ وَالْمَاءُ يَجْرِي
فِي شُقُوفِهِ وَجَدَاوِلِهِ كَأَنَّهُ أَسْلَاقُ صِيغَتٍ مِنْ صَافِي اللَّجَيْنِ
إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ مَوْهَتُهُ بِالذَّهَبِ فَيُمَثِّلُ
الْجَوْهَرَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ فِي صِفَاتِهِ وَلَا لِأَنَّهُ

يَطَأُ السَّائِرُ فِي هَذَا الْبُسْتَانِ طَرِيقًا مَرصُوفَةً بِالْحَصْبَاءِ
مَحْفُوفَةً مِنْ جَانِبَيْهَا بِأَشْجَارٍ أَشْتَبَكَتْ أَفْنَانُهَا كَانَهَا الْقِيَابُ
الْمَضْرُوبَةُ وَضَوْءُ الشَّمْسِ يَسْتَرِيقُ فُرْجَةً بَيْنَ الْأُورَاقِ
يَتَدَلَّى مِنْهَا إِلَى الْأَثَرِ لِيُقْبِلَهُ فَتَضِيضُ عَلَيْهِ الْأُورَاقُ وَتَقْطَعُ
السَّبِيلَ فَيَسْلُكُ طَرِيقًا أُخْرَى تُوصِلُهُ إِلَى الْأَدِيمِ فَتَسُدُّ عَلَيْهِ
هَذِهِ أَيْضًا فَيَكْشِفُ غَيْرَهَا فَيَنْزِلُ مِنْهَا وَهَكَذَا تَبْقَى
الْأَشْجَةُ فِي غُدُوٍّ وَرَوَاحٍ وَالْوَرَقُ يُطَارِدُهَا وَيُمَانِعُهَا حَتَّى
يَحْمَرَّ وَجْهُ السَّمَاءِ بِاقْتِرَابِ الْغُرُوبِ فَيَرْتَدُّ ضَوْءُ الشَّمْسِ
كَاسِيفًا تَحْزُونًا وَيَبْقَى الْوَرَقُ يَتَلَاعَبُ زَهْوًا وَتِيهًا
بِاتِّصَارِهِ وَظَفَرِهِ

* ٥٨ - حُكُومَةُ الْجِسْمِ *

الْقِسْطُ	مُتَاَفِرَةٌ	مُتَكَافِئَةٌ	مُتَعَامِدَةٌ
يَصْدَعُ	تَصْرِيفٌ	يَنِي	الزِّمَامُ
مَازِقٌ	الزَّلَلُ	يُضْرِمُ	تَحَقَّرُ

كُلَّمَا اسْتَقَرَّ قَوْمٌ مِنْ النَّاسِ فِي مَكَانٍ مُجْتَمِعِينَ قَامَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَقُولُونَ أُمُورُهُمْ وَتَأْمِينَ أَنْفُسِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَيَقُومُونَ عَلَيْهِمْ بِالْقِسْطِ فِي مُحَاصِلِهِمْ لِيُؤَلِّقُوا



بَيْنَ قُلُوبٍ كَانَتْ شَيْءٌ مُتَنَافِرَةً
فَأَصْبَحَتْ بِقُوَّةِ الْعَدْلِ وَالسَّهْرِ
عَلَيْهَا مُتَكَاتِفَةً مُتَمَامَةً
كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
وَلَا بُدَّ لِهَذِهِ الْحُكُومَةِ مِنْ
رَأْسٍ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَأَعْضَاءَ
مُتَنَوِّعَةٍ يَخْتَصُّ كُلٌّ مِنْهَا بِعَمَلٍ

مُفْرَدٍ يَقُومُ بِتَنْفِيزِهِ مُسْتَعِذًا سُلْطَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّأْسِ
يُلَبِّغُهُ الْخَوَادِثَ عِنْدَ وَقُوعِهَا وَيَصْدَعُ بِأَمْرِهِ فِي تَصْرِيفِهَا
وَمِنْ الْأَعْضَاءِ مَا قَدْ شُرِعَ لَهُ شَرْعٌ يَتَّبِعُهُ فِي أَعْمَالِهِ فَيَعْمَلُ

وَلَا يَنْبَغِي حُرًّا مُسْتَقِلًّا مَا كَمْ يَنْطَرِقُ إِلَيْهِ اِخْلَالُ فَيْقِفَ عَنِ
 الْعَمَلِ حَتَّى يُصْلَحَ مِنْهُ مَا فَسَدَ وَمَا الْجَنُّمُ الْبَشَرِيُّ إِلَّا
 حُكُومَةٌ أَحْكَمَ نَظْمُهَا الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ فَوَلَّى عَلَيْهَا
 الرُّأْسَ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ وَأَوْدَعَ فِيهِ الْعَقْلَ وَمَلَكَهُ الزَّمَانَ
 ثُمَّ جَعَلَ فِي الْجَنُّمِ عَضَلَاتٍ عَامِلَاتٍ بِأَمْرِهِ وَأُخَرَ
 مُسْتَقِلَاتٍ عَنْ إِرَادَتِهِ عَامِلَاتٍ عَلَى نِظَامٍ ثَابِتٍ لَا تَقَرُّ
 عَنْهُ طَرْفَةً عَيْنٍ مَا دَامَتْ بَعِيدَةً عَنْ مَا زَقَّ الزَّلَّالُ
 وَالسَّرْفُ وَإِلَّا أَتَعَرَّاهَا فَسَادٌ قَدْ يَصْرِمُ حَبْلُ الْحَيَاةِ مَا كَمْ
 يَتَوَلَّاهَا الْإِنْسَانُ بِالرِّيَاضَةِ وَالْعِلَاجِ وَتِلْكَ الْأَعْضَاءُ
 الْمُسْتَقِلَّةُ هِيَ أَجْزَاءُ الدَّمِ وَالنَّفْسِ وَالْهَضْمِ وَسَائِرِ
 الْأَحْشَاءِ وَيَنْبَغِي وَالرُّأْسَ أَسْلَاكُ تِلْغَرِافِيَّةٍ مِنَ
 الْأَعْصَابِ تَحْمِلُ إِلَيْهِ خَبَرَ مَا بُولِيهَا أَوْ يُصِيبُهَا مِنَ الْآفَاتِ
 لِكَيْمَا يَصْرِفُ عَنْهَا الْأَذَى بِعَقْلِهِ وَحِكْمَتِهِ
 وَبَقِيَّةُ الْأَعْضَاءِ تَعْمَلُ بِإِرَادَةِ الرُّأْسِ وَأَمْرِهِ فَإِذَا

شَاءَ الْإِنْسَانُ أَلْمَسَى أَمْدَرَ الرَّأْسِ أَمْرًا إِلَى الرِّجْلَيْنِ
فَتَحْنِلُهُ أَعْصَابُ الْحَرَكَةِ بِسُرْعَةٍ الْبَرَقِ أَوْ أَشَدَّ سُرْعَةً
فَتَتَحَفَّزَانِ لِلْحَرَكَةِ وَتَسِيرَانِ بِأَجْنِهْمَا طَائِعَتَيْنِ وَإِذَا
أَصَابَ الْيَدَ أَوْ عُضْوًا غَيْرَهَا أَلَمْ تُأَرْسَلَتْ شَكْوَاهَا
خِلَالَ الْأَعْصَابِ فَيَأْمُرُ الرَّأْسُ بِأَنْسَحَابِهَا إِلَى مَا مَنِ
أَوْ إِقْدَامِهَا لِكَفِّ الْأَذَى أَوْ التَّنْكِيلِ بِالْمُعْتَدِي
جَزَاءِ أَعْتِدَائِهِ « فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى »

﴿ ٥٩ - أَهْلُ لَا بِلَنْدَ ﴾

جِيلٌ	جَرْدَاءٌ	أَجَامٌ	زَرَابٌ
يَبْتَلُ	حَمُولَةٌ	يَمْتَحِنِي	الْبَشْرَةُ
وَجَنَاتٌ	زُرَافَاتٌ	يَنْتَجِعُ	قَارِسٌ
كُوَّةٌ	فَتَاكٌ	مُتَقَبِّضٌ	ضَنْ
أَجْلَدٌ	مُرْدِيٌّ		

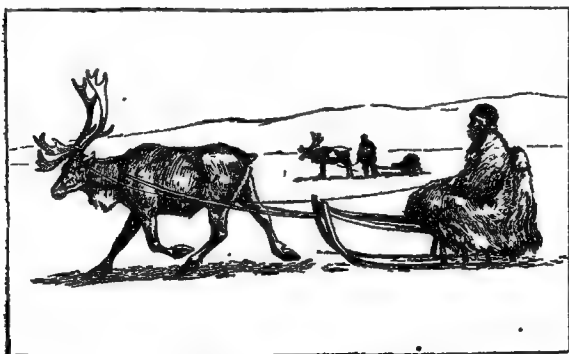


يَعِيشُ جَيْلٌ مِنَ النَّاسِ فِي شَمَالِ السُّوَيْدِ وَرُوسِيَا
 بِلَادِهِمْ جَرْدَاءٌ قَاحِلَةٌ مَآخِلًا بَضْعَ آجَامٍ مُتَشَرِّقَةً يَتَّخِذُونَ
 مِنْ غَصُونِهَا وَجُدُوعِهَا زُرَابًا يَسْكُنُونَهَا أَيَّامَ شِتَائِهِمْ
 الطَّوِيلِ وَلَا يُؤَانِسُهُمْ فِي وَحْشَتِهِمْ إِلَّا كِلَابُهُمْ وَشِبَّةُ بُنْتَلِ
 كَبِيرُ الْجَنَّةِ يَسْتَعْدِمُونَهُ حَوْلَهُ لَهُمْ وَيَقْتَدُونَ بِلَحْنِهِ
 وَلَبَنِهِ وَيَحْتَذُونَ بِجِلْدِهِ وَيُسَارِكُهُمْ فِي تَمَلُّكِ هَذِهِ الْقِفَارِ
 اللَّدِيَّةِ وَالذَّئَابِ النَّلْجِيَّةِ وَغَيْرُهَا مِنْ صُنُوفِ حَيَوَانَ
 الْفَرَاءِ

وَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ قِصَارُ الْقَامَةِ ثَقَالُ الْجَسْمِ سُوءُ الْبَشَرَةِ
وَجَنَاهُمْ بَارِزَةٌ وَعُيُونُهُمْ مُسْتَطِيلَةٌ ضَيْقَةُ وَأَفْوَاهُهُمْ
وَاسِعَةٌ بِشْفَاهِ دَقِيقَةٍ وَأُنُوفُهُمْ قَصِيرَةٌ غَلِيظَةٌ فَكَأَنَّهُمْ
جَمَعُوا كُلَّ أَوْصَافِ الدَّمَامَةِ فِي الْخَلْقَةِ

وَيَعِيشُونَ قِبَائِلَ وَزُرَافَاتٍ وَيَنْتَحِمُونَ بِكِلَابِهِمْ
وَقُطَمَانِهِمْ إِلَى حَيْثُ رَاقَ لَهُمُ الْمَرْغَى وَكَثُرَتِ الْأَسْمَاكُ
فِي الصَّيْفِ وَيَتَوَغَّلُونَ فِي الْأَجَامِ فِي الشِّتَاءِ يَمْتَنِعُونَ مِنْ
قَرِّ الْجَوِّ وَقَارِسِ الْبَرْدِ وَيُؤْوِيهِمْ زُرَابٌ مِنْ غُصُونِ
الْأَشْجَارِ يَكْسُونَهَا بِالْجُلُودِ وَالْأَصْوَافِ وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنْ
النَّوَاوِدِ إِلَّا كُوَّةً فِي سَقْفِ الْبَيْتِ يَصْعَدُ مِنْهَا دُخَانُ
نَارِهِمْ وَقَتَارُ طَعَامِهِمْ وَيَجْلِسُونَ وَيَنَامُونَ مُتَقَبِّضِينَ عَلَى
فُرُشٍ مِنَ الْجُلُودِ وَالْفِرَاءِ وَيَخْزِنُونَ مَا أُدْخِرُوهُ مِنْ
الْمَوْنِ عَلَى رُفُوفٍ يَنْصِبُونَهَا بَيْنَ الْأَشْجَارِ ضَنَابِهَا أَنْ
يَسْطُو عَلَيْهَا حَيَوَانَاتُ الْبَرِّيَّةِ الْكَاسِرَةِ وَيَلْبَسُونَ

فِي الصَّيْفِ جَلَابِيبَ وَأَقِصَّةَ مِنَ الصُّوفِ الْخَشَنِ وَفِي
الشِّتَاءِ لِبَاسَهُمْ حُلَّةٌ مِنَ الْفِرَاءِ وَعَلَى رُءُوسِهِمْ شُبَّةٌ
طَرَبُوشٍ لَهُ زُرٌّ أَحْمَرُ وَأَخَذِيَّتُهُمْ مِنْ جُلُودِ الثَّيْلِ
يُطَيَّنُونَهَا بِوَرَقِ أَشْجَارِهِمْ طَلَبًا لِلدِّفْءِ وَمَنْعًا لِلرُّطُوبَةِ
وَفِي الشِّتَاءِ يَتَّخِذُونَ صِنْفًا مِنَ الْحِذَاءِ نَعْلُهُ مِنَ الْخَشَبِ
الْمَصْقُولِ يَجْرُونَ بِهِ عَلَى الْجَمْدِ وَالْجَلِيدِ بِسُرْعَةٍ لَا تُدَانِيهَا
سُرْعَةُ حَيَوَانٍ وَلَهُمْ مَرَكَبَاتٌ لَا عَجَلَ لَهَا مَصْنُوعَةٌ عَلَى
هَيْئَةِ سَفِينَةٍ بَارِزَةِ الْقَمَرِ مِنَ الظَّاهِرِ يَجْرُهَا الثَّيْلُ بِسُرْعَةٍ
تَسْبِقُ الرِّيحَ وَيُوقِفُهَا الرَّكَّابُ بِمُرْدِيٍّ يَنْزِرُهُ فِي الْأَرْضِ



﴿ ٦٠ - الْحَرِيقُ ﴾

قَرَقُوسٌ	الْقَتَامُ	تَسْعَرُ	أَعُولَ
أَشْجَانُ	تَهْمِي	قُدَّ	يَهُولُ
الْمَغَافِرُ	إِنْبَرَى	تَقْجَرُ	يَهْزُرُ
الْهَتَانُ	اتَّشَلْ	الْغَشْيَانُ	الْجَنَانُ
الْخَدَنَانُ			

بَلَغَ الدُّخَانُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهُ

قَرَقُوسٌ إِيْمَنًا هَاجَ بِالنُّورَانِ

هَرَعَ الرِّجَالُ إِلَى الْمَسْكَنِ لِيَكْشِفُوا

خَطْبًا أَصَابَ النَّاسَ بِالْخُسْرَانِ

رَأَوْا الدُّخَانَ مَعَ الْقَتَامِ تَسْعَرًا

وَأَحْمَرًا لَوْنُهُمَا مِنْ النَّيْرِانِ

وَتَأَجَّبَتْ جُدُرُ وَقَامَتْ صَيْحَةٌ

يَا لِّلرِّجَالِ أُولَى الْقُوَى الشَّجَمَانِ

ظَهَرَتْ مِنَ الشَّبَاكِ بِنْتُ أَعْوَلَتْ
 وَأَسْتَنْجَدَتْ بِمَرْوَةِ الْإِنْسَانِ
 وَالشَّعْرُ مَحْلُولٌ يَمْوُجُ وَيَنْشِي
 وَالْقَوْمُ فِي فَرْعٍ وَفِي أَشْجَانِ
 هَجَمَتْ عَلَى تِلْكَ الصَّبِيَّةِ أُمُّهَا
 لَتَضُمُّهَا فِي صَدْرِهَا الْخُنَّانِ
 وَدُمُوعُهَا تَهْمِي وَإِنْ عَوِيلَهَا
 لِيَذِيبُ قَلْبًا قَدْ مِنْ صَوَّانِ
 تَجْرِي بِهَا وَتَعُودُ حَيْرَى لَا تَرَى
 مِنْ مَنَفَذٍ يُنْجِيهِمَا بِأَمَانِ
 أَمْ تَهَامِي حُرْقَتَيْنِ يَهْوُلُهَا
 نَارَانِ نَارُ لَطَى وَنَارُ حَنَانِ
 دَوَتْ الطَّرِيقُ وَزَلَزَتْ أَرْكَانُهَا
 وَعَلَا غُبَارُ شَقَّةٍ فَرَسَاتِ



يَقْفُوهُمَا بَرْقُ الْمَغَافِرِ لَامِعًا
يَسْرِ كَأَن الرِّكَبِ فِي طَيْرَانِ
قَالَ الْجَنُودُ مِنَ الْمِصْحَةِ وَانْبَرَوْا
يَذْبُون نَحْوَ تَفْجِيرِ الْبُرْكَانِ

كَسَبُوا مَرَاقِيَهُمْ لِإِشْقَاذِ الْآلِي
 وَقَعُوا أُسَارَى النَّارِ وَالْجُذُرَانِ
 وَالْمَاءِ يَهْدُرُ صَاعِدًا مُتَدَقِّقًا
 يَرْمِي الْجَحِيمَ بِصَيْبٍ هَتَّانِ
 صَعِدَ الْمَسَاكِرُ وَاللَّهْيَبُ يَحْفُهُمْ
 وَالْأَمْ تُوْمِي تَحْوَمُ يَبْنَانِ
 دَخَلُوا مِنَ الشُّبَالِ وَأَتَشَلُّوهُمَا
 مِنْ بَعْدِ مَا وَهَتَا مِنَ الْفَشْيَانِ
 هَتَفَ الشُّهُودُ لِمَارًا وَمِنْ فَعْلِهِمْ
 مُؤَلَّى السُّرُورِ وَمَذْهَبِ الْأَحْزَانِ
 وَسَارَعُوا بِمَنْشِبَاتٍ أَنْشَتِ
 لَهُمَا الْجَنَانُ قَقَامَتَا بِجَنَانِ
 وَالْأَمْ تَشْكُرُ بِاللِّسَانِ وَبِنَتْنِهَا
 فِي حِضْنِهَا أَمِيتَ مِنَ الْخَدَتَانِ

﴿ معاني الألفاظ الصعبة ﴾

ملاحظة — الألفاظ العامية مكتوبة بين قوسين

الصفحة : الكلمة	المعنى
٢٥ عَزَيْنٌ	عظم الأنف بين الحاجبين
٢٧ غُضْرُوفٌ	عظم لين يكسو أطراف العظام
٣٨ الدَّيْسُ	عسل التمر
٤٠ الْفَسَيْفَسَاءُ	بلاط مصبوغ منقوش (الأشاني)
٤٠ شَمَسَاتٌ	ألواح
٤٩ الْمَطَاطُ	مادة مرنة (السنك)
٥٧ بَنِيْقَةٌ	جزء القميص حول العنق (ياقة)
٥٧ رُذْنٌ	طرف كم القميص (اسورة)
٥٧ الرَّيْطَةُ	ثوب سخيـف جدا (الشاش)
٦٥ مُؤَامَرَةٌ	المشاورة (عرض الأوراق)
٦٩ لَوَلَبٌ	آلة تنبض (زنبلك)

الصفحة : الكلمة	المعنى
٧٦ الصَّنَجُ	حديدية مستديرة يضرب بها على مثلها (ساجات)
٨٩ زِمِكُ	مؤخر الحيوان
٩٢ إِطَارُ	ما يحيط بالشيء (براوز)
٩٢ الْكَاعْدُ	الورق
٩٢ الدَّوَامَةُ	كل شيء يدور حول قطب (رفاس)
٩٢ السُّكَّانُ	آلة توجه سير السفينة (دفة)
١٠٥ الشَّرْطَةُ	الشَّحْنَةُ (البوليس)
١١٠ مَعْقُوفٌ	ملوى من الطرف
١١٦ مَهْمٍ	ماذا تطلب (أفندم)
١٢٥ الْمُخَاضَةُ	جهة من الهرم أو هاقليل يخاض فيها
١٢٨ مَنَاحِسُ	جمع مِنَخَس وهو آلة تنخس بها الدواب
١٢٨ عِقَابُ	المراقى الصعبة من الجبال

الصفحة : الكلمة	المعنى
١٣٠	الَلَّازِبَةُ الشدة والقحط
١٣٣	السَّوَارَى جمع سارية وهي الأسطوانة
١٣٣	مُهَيِّمٌ خفي الصوت
١٤٣	جَمْعَرٌ نهر كبير
١٤٣	الْمِرْجَلُ إناء من صُفْرٍ يغلى فيه الماء (قزان)
١٥١	جِيلٌ جنس
١٥١	حَمُولَةٌ دابة الحمل
١٥١	مُتَقَبِّضٌ متداخل بعضه في بعض (مكعش)
١٥١	مُرْدِيٌّ قضيب من خشب يفرز في قعر البحر
	لدفع السفينة (مدري)
١٥٥	قَرَقُوسٌ بركان
١٥٥	الْقَتَامُ سواد يتصاعد من الاحتراق (هباب)
١٥٥	الْمَغْفَرُ جمع مِغْفَرٍ وهو طائر يلبس في
	الرأس عند الحرب

﴿ قَرِظَ الْكِتَاب ﴾

هذا ما تفضل به حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ
الكبير الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية
بوزارة المعارف سابقا

تلوت هذا الكتاب أجزاءه الأربعة تأليف ولدنا
الجهندين على عمر بك وعبد الفتاح صبرى بك المتأثرين
بالسودد العادى (القديم) غير الأقزم

فألفيته على حداثة طريقتة ووضوح محبته أنجع وسيلة
لتناول النشء جنى موضوعه وما كل حديث يعاب

ولست أعجب لسلاسة عباراته وتوخي مؤلفيه في
أساليبه مناسبة طلابه وما يشوق قارئه إلى استيعابه فانها
شنشنة أعرفها من أخزم وإنما الخلق بأن يتعجب منه
ما تجشماه فيه من تهريب العامية من العربية مع صحة المبنى
والمعنى وما أتيح لهما من ألقاظ عربية بدل العامية وضع

الهتاء مواضع الثُّبُوبِ ونِعْمَتِ الخُدْمَةِ لِلْغَةِ الشَّرِيفَةِ
ثم التدرج بما يناسب سن الطلبة وسِنِيهِمْ بحيث
لا ينتهون من السنة الرابعة الا مُبَرِّزين على ذوى
التجهيزات بما انفرد به هذا الكتاب من فرائد الفوائد
ما بين أخلاق وآداب ومواعظ وعلوم وكو نيات علوية وسفلية
الى غير ذلك مما يوافق خبره العيان وليس وراء العيان بيان
فما أحرى مؤلفيه بحمیل الثناء وجزيل الدعاء

الفقير اليه عز شأنه

حمزة فتح الله

﴿ فهرس الكتاب ﴾

الصفحة: الموضوع	الصفحة: الموضوع
٢٥ أجسامنا (١).	٢ المقدمة
٢٧ أجسامنا (٢)	٣ آيات الخالق
٣٠ التاريخ (١)	٥ الساعة الدفاعة عند العرب
٣٢ التاريخ (٢)	٧ خطبة طارق قبل فتوح
٣٣ الاعتراف بالجميل	الاندلس
٣٥ يعسوب النحل (١)	٩ السفرة الثانية من سفرات
٣٨ يعسوب النحل (٢)	السندباد البحري (١)
٤٠ الجامع الأموي بدمشق (١)	١٢ السفرة الثانية من سفرات
٤٣ الجامع الأموي بدمشق (٢)	السندباد البحري (٢)
٤٦ سيدنا نوح	١٥ السفرة الثانية من سفرات
٤٩ الكهرباء	السندباد البحري (٣)
٥١ المدينة المنورة	١٨ الهواء
٥٥ الحماسة	٢٠ دولة المماليك في مصر
٥٧ النشا	٢٢ في طلب المعالي وعزة النفس

الصفحة: الموضوع	الصفحة: الموضوع
٨٩ العرب والطيран	٦٠ كلكم راع وكلكم مستول
٩٢ الطيران	عن رعيته (١)
٩٥ أعراب البادية (١)	٦٣ كلكم راع وكلكم مستول
٩٨ أعراب البادية (٢)	عن رعيته (٢)
١٠١ نكران الجميل	٦٥ كلكم راع وكلكم مستول
١٠٢ تنازع البقاء	عن رعيته (٣)
١٠٥ اخليفة ورئيس الشرطة	٦٧ الوشاية
١٠٧ التحذير من هوى النفس	٦٩ التلغراف
١١٠ مصنع الجسم	٧٢ زهد الهنود (١)
١١٣ في سبيل الوطن	٧٦ زهد الهنود (٢)
١١٦ ذكاء القاضي	٧٨ ماجزاء الوالد من ولده
١١٩ آيات الوفاء	٨٠ زيت البترول
١٢١ وصف مصر	٨٣ بغداد (١)
١٢٣ وان تعدوا نعمة الله	٨٥ بغداد (٢)
لا تحصوها	٨٧ الفضيلة

الصفحة: الموضوع	الصفحة: الموضوع
١٤٦ منظر بستان	١٢٥ الفرج بعد اليأس
١٤٨ حكومة الجسم	١٢٨ الرخام
١٥١ أهل لابلند	١٣٠ ولئن شكرتم لأزيدنكم
١٥٥ الحريق	١٣٣ الحرب
١٥٩ معاني الألفاظ الصعبة	١٣٦ التاج محل
١٦٢ تقرظ الكتاب	١٤١ منفاخ الجسم
	١٤٣ جنادل نيكرا

